صـورة نادرة للفريق بكر صـدقي اخذت عن كتاب العراق للباحث عامر بدر حسون

حركة الفريق بكر صدقي سنة 1936

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2441) السنة التاسعة
الاثنين (2) نيسان 2012

14
ولي عهد قيصر روسيا في أعماق سجون بغداد ؟

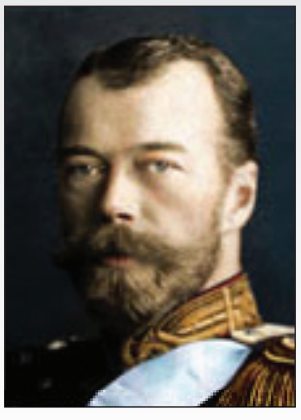

أسطوات بغداد العظام والمغمورون

إحسان فتحي
مهندس معماري عراقي

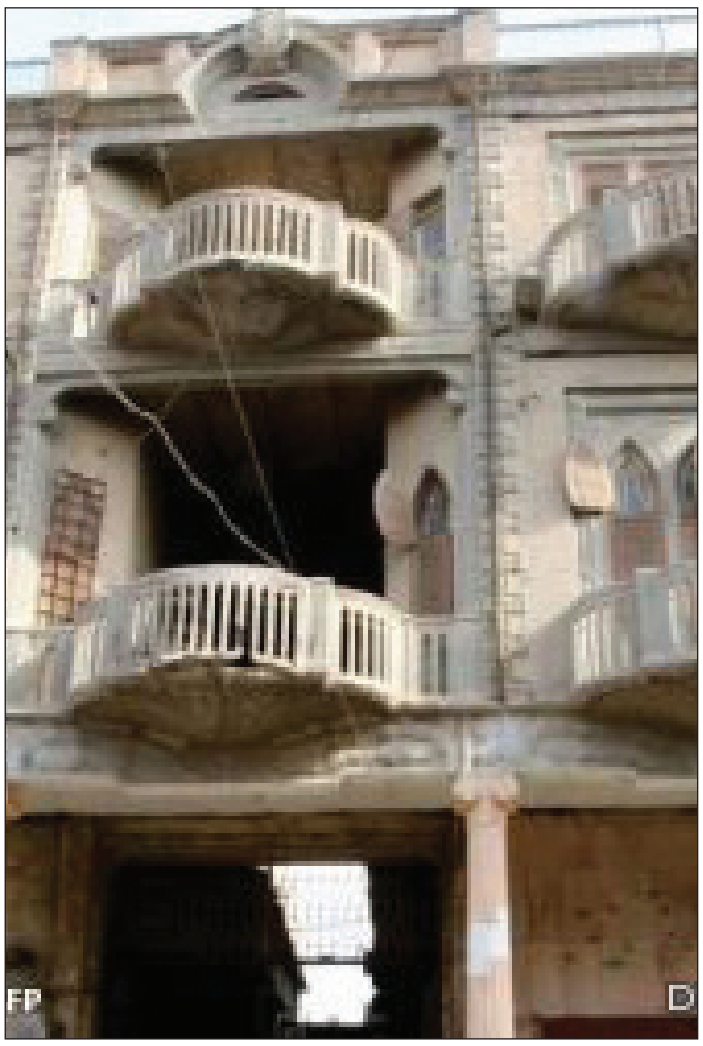

نادرة هي الكتابات التي تكلمت عن الاف معلمي البناء الذين شيدوا كثيرا من المباني والمنازل الرائعة في العالم الاسلامي تعود اصول اسطوات البناء الى الاف السنين، ابان فترة البناء الكبرى في بلاد الرافدين ثم لاحقا الى الفترة العباسية. لقد لعب الاسطوات دوراً اساسيا على الدوام وتشير مصادر عديدة الى ان الغزاة الاجانب كانوا يأخذون معهم لدى عودتهم من بلاد الرافدين اشهر المعماريين وكبار معلمي البناء.

واستمر الاسطوات في الازدهار ابان الحكم العثماني وكلما اتقنوا فن العمارة الذي تنامت تعقيداته دون انقطاع، كلما توجه بعضهم الى الاختصاص فكان هناك اسطوات بانؤون، واخرون اختصوا بشتى المهن الغنية المرتبطة بالبناء كتثبيت الطابوق، والتضاريس المنحوتة، والتجارة، وتطعيم الخشب، وصناعة الخزف والقيشاني، والحديد المشغول والمسترق. كان هذا الاسطا مثلا مختصا ببناء المآذن والقباب والقناطر المعقدة، واختص ذاك بالمقرصنات والفيسفساء الطابوقية والسقوف التربيعية والشناشيل ونوافذ الاورسي وكان صنع هذه النوافذ الخاصة يقتضي تنزيل قطع الزجاج الملون في مجسمات معقدة جدا تسمى "خدرة كار"، ودون غرس اي مسمار فيها لقد بلغت مهارتهم في هذا المجال درجة فائقة من البراعة والذوق الرفيع.

تنحدر كلمة "أسطا" من كلمة "استاذ" بالعربية (معلم). وفي العراق، لا يرقى الصانع الى ان يكون "أسطا" الا بعد ان يثبت انه بلغ درجة عالية من الكفاءة ولكن يجب التنويه بان عملية التعلم هذه لا تعرف اي اطار شكلي، إذ لا توجد مدرسة للتأهيل، ولقب "أسطا" يطلق على جميع الذين بلغوا درجة عالية من الاتقان في صنعتهم وبعامة لا يعترف بالاسطا إلا تظراؤه، وبعد اتقان مرحلة طويلة وصعبة من تعلم المهنة، او فرع من فروع الاختصاص المحدد وغالبا ما يدخل الى المهنة كـ"عامل" ثم يصبح خلفة" (مساعد معلم)، وبعدها يقبل كـ "اسطا". ويستغرق هذا ما بين عشرين وثلاثين سنة. ويحصل احيانا انه بعد هذه المدة الطويلة من الاختبار، لا يصل الى المستوى الضروري لينال هذا اللقب الجليل.

في العادة يشق العامل طريقه مع والده او مع احد الاقارب، ويبدأ العمل في سن مبكرة ما بين ١٠ و ١٤ سنة، وكصانع في الورشة، يقول اولا بتنزيل حمولة الطابوق ثم بنقلها ، ويتعلم كيف "يقذف بها" لمثبت الطابوق وكيف يقصها حسب الطلب (كوصلة مثلا)، او يتدرب على جبل الجص، الخ.. ولا يندر ان يضطر الى مواجهة ظروف قاسية من الناحيتين الاعتبارية والجسمية: كالطقس القاسي، والخضوع المطلق للسلطة خصوصا، فالطاعة تامة ولا يقبل اي خطأ يمكن ان يرتكبه، والذين يعملون بشكل جيد يكافأون احيانا بثناء كلامي او بترقية اسرع وهذه المسيرة الطويلة تجعل من الأسطا صانعا مكتملا وقوي الشيكمة.

ومعظم الاسطوات من اصول شعبية، وفي بغداد مثلا تنحدر غالبيتهم من الاحياء المحرومة، كحارة الهيتاويين التي ، كما يبدو، كانت منبتاً خصباً لهم. ومع ان اجورهم معقولة – نظراً لعملهم وكفاءاتهم – ما زال معظمهم فقراء، لان افراد عائلاتهم كثيرون وحتى افول تجمهم في بداية السبعينات، كان الاسطوات يلبسون ثيابا بلدية مميزة: "الصاية" والشراوية (القبعة) واحيانا الكوفية التي تنهدل على الكتف ان ارتداء هذه الثياب التي تضيف عليهم مسحة مؤكدة من الاحترام، كان مدعاة فخر كبير لهم.

ويدفع اتقان الصنعة الى اعتزاز واعتبار كبيرين لدى الاسطا، ذلك المجتمع يقدر كفاءته فتنتشر بالتالي سمعته الى البعيد البعيد، ويعي الاسطا قيمته ولا يكشف اسرار فئة للمنافسين، ولكنه يطلع ابناءه وافراد عائلته المقربين عليها، ولهذا السبب استمرت هذه المهارات المتقنة من جيل الى جيل إذ احيطت بكتمان شديد وانتقلت بين افراد العائلة وحدهم. وكان ينظر اولا لكل تجديد بحذر بالغ، ثم يتبنى بعد فترة اختبار وكانت دقة العمل تستند الى تكرار المكتسبات التقليدية بمنتهى الاتقان. واستمرت هذه الطريقة في التعلم – وهي التي كانت تجمع بين التراث والعلاقة العائلية الضيقة وسر الصنعة خصوصا – وعمرت طويلا في العراق، وغيرها من المجتمعات الاسلامية.

في العمارة الاسلامية تم التمييز بين "الأسطا" والمعمار، على ما يبدو، وبسبب نقص الوثائق المتعلقة بالبناء، ثم الدمج غالبا بين هاتين المفردتين وفي الاجمال، المعمار مسؤول عن "التفصيل" العام للبناء (من التصميم والتقطيع الكامل والوظيفي للحيز، الى الاختيارات الجمالية والطراز). اما الأسطا فيحول المشروع الى واقع قائم فوق قطعة ارض. بيد ان هذا التمييز لا يصح إلا على المباني المهمة، ففي العمارة المنزلية، الاسطا هو المصمم والمنفذ معاً، واصبح هذا الامر ممكنا لأن الاسلوب التقليدي والمخطط المتكرر يقتضيان اجراءات روتينية: ففي معظم الاحيان تكون التعديلات طفيفة، وتنشأ عن التفاوت في المحاضر او عن الرغبة الخاصة لدى الزبون.

تنحدر كلمة "أسطا" من كلمة "استاذ" بالعربية (معلم). وفي العراق، لا يرقى الصانع الى ان يكون "أسطا" الا بعد ان يثبت انه بلغ درجة عالية من الكفاءة ولكن يجب التنويه بان عملية التعلم هذه لا تعرف اي اطار شكلي، إذ لا توجد مدرسة للتأهيل، ولقب "أسطا" يطلق على جميع الذين بلغوا درجة عالية من الاتقان في صنعتهم وبعامة لا يعترف بالاسطا إلا تظراؤه، وبعد اتقان مرحلة طويلة وصعبة من تعلم المهنة

العمارة العراقية المحلية، والعمارة في معظم المدن العربية التقليدية، قد صممها الاسطوات ونفذوها وليس المعماريين اصحاب الشهادات ان اسماء معلمي البناء هؤلاء بقيت في معظمها مجهولة – وهذا ما حصل ايضا للمعماريين في اغلب الاحيان وقد تم تنفيذ هذه العمارة بادوات قليلة جدا: الخيط، والمالج والشمشا، والشاقول، والطاسة، والغنية الخشبية، وكانت مواد البناء هي ايضا قليلة العدد: الطابوق المشوي باحجام واشكال متعددة، الجص، النورة (الكلس)، الصلصال، والتراب، وكانت جذوع الاشجار تستخدم في التسقيف: اما القناطر، ولا سيما قناطر الاقبية، فكانت من الطابوق واشهر زخرفة كانت تلك المكونة بعامة من قطع الطابوق المصفوفة بشكل فسيفسائي، او من الجبصين القالبي او المنحوت.

ولعبت التأثيرات الاوروبية دوراً بارزاً في البناء التقليدي المحلي: تحولات في الطرز، استيراد عناصر تزيينية او معمارية، ولا سيما في الفنون التطبيقية.. وشهدت بداية القرن العشرين ادخال الجيزان الفولاذية (الشيلمانات) التي سرعان ما تبناها الاسطوات، نظرا لسرعة تركيبها ولمتانتها، ثم اتى عصر الكهرباء والاثاث بشتى اشكاله، والمواقد الجدارية التي تعمل على الحطب، والحديد المطروق والمشغول المستورد من اوروبا.

ان "غرينة" المجتمع العراقي، كغيره من المجتمعات العربية، قد قضت شيئا فشيئا على الاسطاوات فالقوانين والتنظيمات الجديدة وطرق السير وتخصيص المقاسم وتنظيم المدينة والتقنيات الجديدة المتبعة والانتاج الصناعي، والمصادر الجديدة للطاقة، الخ.. ان كل هذه التحولات الجذرية في البنية التحتية والاجتماعية / الاقتصادية والتقانية قد اثرت في فن البناء وانتهى الامر بالبيت التقليدي ان تراجع امام تقليد الفيلات الاوروبية المقتبسة من الكاتالوغات، إلا ان الطاقة المتراكمة لمهارات الاسطوات المحليين قد استمرت مع ذلك، فمن خلال العبقرية الارتجالية عندهم، استطاع هؤلاء ان يجددوا ويتأقلموا مع تلك التقانات الجديدة في التعامل مع الطابوق وزخرفته.

وخلال عقدي الاربعينيات والخمسينات ومع الادخال المكثف للاسمنت والاسمنت المسلح، وايضا مع نزول المعماريين والمهندسين المدنيين العراقيين الذين درسوا في اوروبا الى سوق العمل، استبدل الاسطوات التقليديون بالمقاولين لقدرتهم على فهم واستعمال المخططات النظامية التي وضعها المعماريون خلال السبعينات، انقرض معظم الاسطوات او تقاعدوا اما القلائل جدا الذين بقوا حتى الان فيعملون اساسا في بناء او ترميم المساجد والمباني التاريخية.

تعلم ان قليلا من المباني العباسية في بغداد صمدت امام موجات التدمير المتتالية الناجمة عن الغزو او الفيضانات او الحرائق النسيج السكني القديم، لا سيما في مناطق الرصافة والكرخ والاعظمية والكاظمية، مؤلف من مساكن تقليدية لا يتجاوز عمرها ١٠٠ أو ١٥٠ سنة على أبعد تقدير كل بيت من هذه البيوت – والى حد ما، جميع البيوت التي بنيت في العقود الاربعة الاولى من القرن العشرين – هو كنز من المهارات المعمارية ، ومن العبقرية التشييدية ، ويحمل في ثناياه علامة في الاتقان ترقى الى الاف السنين، لذا فان الاسهام الاساسي للاسطاوات يدل على اتقان كان بحد ذاته اكبر ضمانة على الامانة تجاه بنائي بلاد الرافدين.

عندما كنت اادير مدرسة العمارة في بغداد، كنت ادرس بخاصة العمارة وبدأت وقتئذ ادون اسماء الاسطوات المعروفين في معظم المدن العراقية الكبرى، اثناء تنقلاتي الميدانية العديدة (ما بين ١٩٦٨ و ١٩٩١) تعودت ان اراجع المسألة بطرح اسئلة على المؤرخين المحليين والاشخاص المسنين، وهكذا بعض المعلومات المهمة، وما زالت جميع هذه المعلومات في ارشيفي في بغداد اليوم، وامل ان استعيدها عندما تسمح الظروف الامنية بذلك.

واليكم بعض الاسماء:

– الأسطا سلمان – عمل مع ج. م. ويلسون وك. أ. س. ميسون، في المدرسة المركزية بخاصة، وفي تشييد مبنى الاخوة لينش "" بروترس لينش" في شارع الرشيد، وجامعة آل البيت.

– الأسطا الحاج إبراهيم، بغداد، ذكره اوسكار رويترز (Oskar Reuthers) ١٩١٠. (لعله يقصد ابراهيم العبطة، المدى)

– الاسطا عبدالله الكاظمي، بغداد ذكره اوسكار روثير، ١٩١٠.

– الأسطا صالح البياتي، المدعو صالح زنوبة، توفي في الخمسينات.

– الأسطا طه حمودي، اصله من صبابيغ الال محلة، وعمل في بناء عمارة فتاح وغيرها في شارع الرشيد باشراف المعماري شريف يوسف.

– الأسطا حسن فرج (١٩٠٩ – ١٩٧٦) اصله من الهيتاويين، وهو زميل الأسطا طه حودي، وعمل بنشاط في مسجد الخلفاء التي رممه محمد مكية، وشيد بيوت امل الخضيري وكاظم مكية والاميرات.

– الأسطا يوسف فليفل، كان نشيطا في الستينات.

– الأسطا صادق عبد الكريم ابو الورد (توفي عام ١٩٨٣) ولد في محلة عقد الفشل، وتدرب على يد الأسطا سيد عزيز، وعمل كـ "خلفة" مع الأسطا صالح البياتي.

– الأسطا الحاج توفيق، عمل مع محمد مكية في ترميم مسجد الخلفاء، ١٩٦٣.

– الأسطا حسن رشيد، من الكاظمية.

– الأسطا الحاج سلمان سلبي، من محلة صبابيغ الال.

– الأسطا ناصر وابنه عبد علي من محلة صبابيغ الال.

– الأسطا الحاج اسماعيل البياتي.

– الأسطا محيي: مشيد بيت الدكتور شوكت الزهاوي الذي رسم تصاميمه المعمار التركي نطقي بك.

– الأسطا الماز: شيد فيلات عديدة خلال الثلاثينات وبينها فيلا توفيق السويدي، رئيس الوزراء الاسبق.

– الاسطا عبد اللطيف العاني، اصبح مقاولا كبيرا في الستينات.

– الاسطا مهدي مطر: اصله من محلة الجبة، وفي عائلته عدد من الاسطاوات من امثال الأسطا علي، والأسطا الحاج رضا، والأسطا الحاج محيي علي.

– الأسطا مصطفى محمد عجيل: شيد المنزل الانيق لاسماعيل الشوريجي في الاعظمية، ١٩٣١، ووضع تصاميمه معمار يوناني.

عن كتاب (بغداد، العمارة الحديثة والتراث)، سيسيليا بييري
ترجمة : د. جمال شحيد

ذكريات أيام زمان

حزب فاشي في العراق في الثلاثينات

عبد القادر البراك
صحفي راحل

الملك فاروق

شكيب ارسلان

د. فايق شاكر

مصطفى علي

قد يستغرب الكثير من متتبعي احداث العراق في التاريخ الحديث، ان يكون اعوان نوري السعيد، السياسي العراقي المعروف بولائه واندفاعه الشديد نحو المعسكر الغربي. هم اول من فكروا بتأسيس حزب فاشستي على غرار الحزب الذي اسسه موسوليني في ايطاليا، وهو الحزب الذي يضمر له اعوان السعيد الكره والعداء الشديدين!

لكن الواقع الذي يعرفه بعض من عاصروا تلك الفترة يملكون التأكيد على الامر الذي لم يتوقعه المعنيون بتاريخ العراق، وهو ان تنبثق فكرة قيام الحزب الفاشستي في العراق بعد ان خاض نوري السعيد واحدة من اكبر معاركه ضد الشعب العراقي حين الف حزب (العهد) وابرام المعاهدة العراقية – البريطانية سنة ١٩٣٠ باوسع اغلبية برلمانية لم تنتخب انتخاباً حراً!

ذلك ان نجاح الدعاية الفاشية في الوطن العربي بعد ان سيطر (الدوتشي) وهو لقب موسوليني على الحكم في ايطاليا وادعى مناصرته وحمايته للعرب المجاهدين ضد الاستعمار الفرنسي في المغرب دفع للاستجابة لدعايته عدد من الزعماء، العرب كان من بينهم شكيب ارسلان الزعيم اللبناني المعروف وعلي ماهر السياسي المصري واحد رؤساء الوزارات الذين وقفوا الى جانب الملك فاروق في الكثير من الازمات والى جانب ثوار يوليو حين اطاحوا بعرش هذا الملك الطاغية. وكان من ابرز دعاة الفاشية في العراق عدد من اعوان نوري السعيد كما قلت، وفي المقدمة منهم النائب الموصلي ثابت عبد النور واخرون، كانوا يجتمعون عصر كل يوم في عيادة الدكتور اسماعيل الصفار فوق مقهى حسن العجمي المعروفة في منطقة الحيدر خانة بشارع الرشيد، والى تبني ثابت عبد النور لفكرة قيام الحزب الفاشستي اشار المرحوم مصطفى علي في قصيدة له لم تنشر قال فيها:

وقالوا دعا للفاشية (ثابت)
فقلت لهم: لاتعجبوا من دعايته

وكان من ابرز رواد عيادة الدكتور الصفار، الدكتور فايق شاكر احد امناء العاصمة بغداد وشقيق المجبر الفني جلال شاكر المعروف بنكاته اللاذعة والشيخ بهاء الدين الشيخ سعيد وعبد الرزاق الحصان وغيرهم.

وقد جرى ذكر ذلك في مجلس الشاعر معروف الرصافي فنظم بيتين من الشعر كانا نواة لاروع قصيدة سياسية لهذا الشاعر، اما البيتان فهما.

يا قوم خلو الفاشية انها
في السائسين فظاظة وتعجرف

وحين عرض الرصافي القصيدة على بعض اصدقائه وهم من الكثرة بمكان، قالوا له من خيرة الابيات.

وبعد فهذه نبذة عن فكرة تأسيس اول حزب فاشستي في العراق اعقبها نشاط قد يكون مدار تعليق في نبذ قادمة وفي وقت قريب والى اللقاء.

جريدة الاتحاد 1986

السياب كما عرفته

خالص محي الدين
شخصية ديمقراطية تقدمية

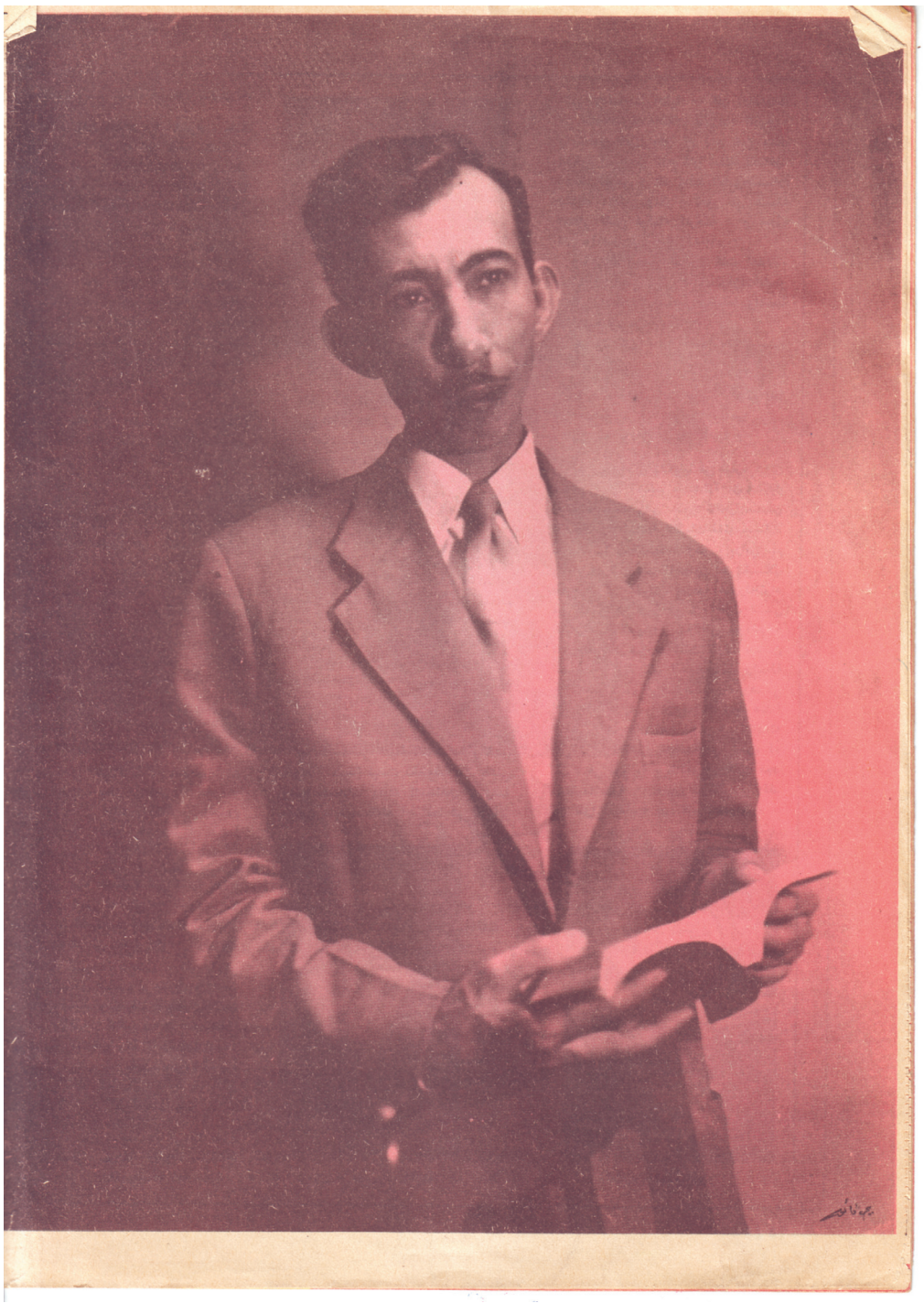

تخرج السياب في كلية دار المعلمين العالية سنة ١٩٤٨ وكان من المفروض ان يتخرج سنة ١٩٤٧ إلا انه فصل من الدراسة وهو في السنة الثالثة وكانت مدة الفصل سنة دراسية واحدة وذلك على اثر اضراب طلابي حدث في الكلية وكان السياب من نشطائه بل من قادته.

عاد الى الدراسة بعد انقضاء مدة فصله، التحق في السنتين الاولى والثانية في قسم اللغة العربية ثم انتقل في السنة الثالثة والرابعة الى قسم اللغة الانكليزية، اكمل الدراسة وعين مدرسا في ثانوية الرمادي لتدريس اللغة الانكليزية، حين ذهب الى الرمادي كان السياب بر ما بالحياة بعد فشله في حب او توهمه انه به، سكن المدينة اياها قليلة غريبا محبطا خائبا منقبض النفس خائفا مما سيلاقيه من مصير سياسي مجهول اثناء الهجمة الشرسة التي تعرض لها الحزب الشيوعي العراقي والحركة الديمقراطية سنة ١٩٤٨ بعد اعلان الاحكام العرفية بحجة حماية مؤخرة الجيش العراقي الذي شارك في حرب فلسطين بعد صدور قرار هيئة الامم المتحدة بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود وكان حصيلتها زج المئات من الديمقراطيين والشيوعيين في السجون واعدام قادتهم، وكان السياب ممن اعتقل وفصل من الخدمة.

في بداية سنة ١٩٥١، جاء السياب الى بغداد وعين موظفا في المديرية العامة للاموال المستوردة. كان في عنفوان نشاطه الادبي، كتب عدة قصائد كانت منها مطولته (المومس العمياء) ثم كتب بعدها (الاسلحة والاطفال) وقد شغلت هذه القصيدة ثلاثة وعشرين صفحة في ديوانه (انشودة المطر)، حين كتب السياب قصيدته "الاسلحة والاطفال" كانت حركة السلام العالمي في اوج نشاطها، كان يترأسها انذاك العالم الفرنسي فريدرك جوليو كوري وانتشر صداها في العراق وبالاخص العاصمة بغداد باعتبارها مركزا للثقافة والعلم والحراك السياسي، ضمت حركة انصار السلام وادباء ، شعراء، فنانين، محامين، مسرحيين، اساتذة جامعيين، ورجال دين، امثال المرحوم الشيخ عبد الكريم الماشطة، والمرحوم الشيخ الشبيبي والد الشهيد حسين الشبيبي في ذلك الجو العاصف من الحراك السياسي كتب بدر "الاسلحة والاطفال" يندد فيها بالحرب ويدعو للسلام بخيال شاعر مبدع لا كسياسي.

لقد كان السياب شاهدا ورقيبا على هموم وتطلعات عصره لقد سمعت اذناه طبول الحرب العالية الاولى تدوي بما كان يتحدث عنها في حدود بيته الذي عاشه مع جده، وعان مع جيله مرارة الحرب العالمية الثانية وان لم تمسه نارها.

كانت القصيدة تدور حول فكرة مكثفة فحواها ان العالم يعيش تهديد حرب عالمية ثالثة كانت تلقي بضلالها على العالم وعلى الانسانية تقع مهمة ايقافها والا الفناء المحتوم للانسانية والتراث الحضاري.

استأجر السياب واخوه المهندس عبد الله دارا في محلة السنك، كان يستلقي ظهرا بعد رجوعه من عمله لاخذ قسطا من الراحة، تدعى عند اهالي بغداد "القيلولة" كان يسمع من بعيد او قريب صوتا ينادي، حديد عتيق للبيع، جرباية عتيكة للبيع، رصاص نحاس الى غيرها من الاغراض المعدنية القديمة تشترى من الناس لتجمع وتصدر خارج العراق بما يعرف "السكراب" خطرت في مخيلة شاعرنا المبدع ان هذه الاغراض من الحديد والرصاص والنحاس وغيرها من المعادن المشتراة تصدر وتصل الى الدول الكبرى لتتحول في مصانعها العسكرية الى بنادق ورشاشات ومدافع وغيرها من اسلحة الحرب والدمار، فيكون من ضحاياها الاطفال الابرياء.

ارى من المناسب ان اسمعكم شذرات منها للذي لم يقرأها او يسمع بها فهي من القصائد التي احدثت في وقتها دويا في الاوساط الادبية والسياسية في العراق وخارجه.

يقول في مطلعها واصفا الاطفال في برائتهم ومرحهم:

عصافر ام صبية تمرح
عليها سنا من غد يلمح
واقدامها العارية محار بصلصل في ساقيه
لاذيالها زفة الشمال
سرت عبر حقل من الستايل
وهسهسة الخبز في يوم عيد
وغمغمة الام باسم الوليد
تناغيه في يومه الاول

ثم يخاطب المنادي المشتري للحديد والرصاص:

لك الويل من تاجر اشام
ومن خائض في سيل الدم ومن جاهل ان ما يشتريه
لدر الطوى والردى بنيه
قبور يوارون فيها بنيه

حديد عتيق، رصاص، حديد، حديد عتيق لموت جديد ثم ينتفض شاعرنا ويغضب ويقسم قسما غريبا، يقسم باقدام الاطفال الحافية:

باقدام اطفالنا العارية، يمينا بالخبز والعافية
اذا لم تعفر جباه الطغاة على هذه الارجل الحافية
وان لم تذوب رصاص الغزاة حروفا هي الانجم الهادئة فمنهن في كل درب كتاب ينادي
قفي واصدأي باحراب وان لم تضو القرى الناجية فلا ذكرتنا بغير السياب او اللعن
اجيالنا الاتية
قسم عظيم وتحد وغضب عارم

وكما اسلفنا فان القصيدة طويلة بأخيلة غريبة ومفردات قلما استعملت في الشعر العربي، اخيلة لا تلتقطها غير مخيلة شاعرنا الخالد، الذي صور فيها الطفولة في عالم كرمه متجهم، انها توضح بشكل فذ عالم الاستعمار المقيت وترسم الازهرار وسط الاحداث القاتمة بشكل مرعب، وتنشر الالوان المأساوية وسط مظاهر الامل والترقب والايمان بالخلاص والغد المشرق.

حديد عتيق، حديد حديد.

ومن يفهم الارض ان الصغار يضيقون بالحفرة الباردة؟
اذ استنزلوها وشط المزار، فمن يتبع الغيمة الشاردة
ويلهو بلقط المحار؟
ويعدو على ضفة الجدول؟
ويسطو على العش والبلبل ومن يتهجى طوال النهار ويلتغ الراء في المكتب
ومن يرتمي فوق صدر الاب
اذا عاد من كده المتعب

اسى موجع ان يموت الصغار حديد عتيق ورعب جديد حديد رصاص، لان الطغاة يريدون ان لاتتم الحياة مداها
والا يحس العبيد بان الرغيف الذي ياكلون امر من العلقم
وان الشراب الذي يشربون اجاج بطعم الدم ملحمته المفقودة فجر السلام

تعرفت على الشاعر الراحل في بداية سنة ١٩٥١ حين كنا موظفين في المديرية العامة للاموال المستوردة. كان مديرها العام المرحوم ناظم زهاوي ومعاونه خالد الذكر الشهيد زكي عبد الوهاب كان عملنا في الاعم خارج الدائرة وتحديدا في محطة غربي بغداد ، كنا نجلس في مقهى متواضع بانتظار انجاز المعاملات المكلفين بها وهي اخراج البضائع المستوردة لحساب الدائرة من دائرة الكمارك، واثناء جلوسنا كنا نتحدث بامور شتى اهمها ما يدور في المعترك السياسي وما يتعلق بالفن والادب وما يكتبه الصحف اليومية. كانت بغداد في سنوات الخمسين في مخاض وحراك في السياسة والادب والفن، فانجذب احدنا للاخر وتوطدت بيننا علاقة متينة واحب كل منا الاخر حبا صادقا يصل بيننا فكر وموقف.

كما نلتقي عصرا في مقهى البرازيلية او مقهى حسن عجمي او مقهى عارف اغا في الحيدر خانة واحيانا نقضي سهرتنا في مشرب او مشاهدة فيلم.

ويوما قال لي هامسا ان السجينة الشيوعية عمومة مير مصري ارسلت له من سجن النساء رسالة ترجوه وتطلب منه ارسال قصيدته "فجر السلام" ولم اسمع منه حينذاك انه نظم ملحمة شعرية بهذا الاسم فقراها لي واعجبت بها ايما اعجاب ثم سكت وقال خذها واكتبها انت خوفا من ان تقع بيد سلطات الامن وعند ذاك اتعرض للمسائلة والاذى خاصة اذا كانت بخط يدي، فقبلت التكليف وكتبتها واحتفظت بالنسخة الاصلية التي كانت بخطه، ثم كلفني ثانية ان اكتب له قصيدته "رفيقة الطريق" ونشرها في ديوانه "انشودة المطر" باسم "يوم الطغاة الاخيرة" شارحا تحتها "اغنية ثائر عربي من تونس لرفيقته "وهناك بعض الاختلاف والنقص والزيادة عما كانت عندي علما اني احفظها عن ظهر قلب، ولا اعلم ان كانت القصيدة "فجر السلام" قد ارسلت ووصلت الى سجن النساء ام لا حيث لم اسأل بدر عنها.

بعد مدة اتصل المحامي حمزة سلمان بالسياب واقنعه بنشرها في كراس باعتبارها من نشريات حركة انصار السلام، كان ذلك في بداية سنة ١٩٥٢ وتولى كل من المحامي حمزة سلمان والمحامي عدنان عبد القادر مهمة الاشراف على طبعا وفعلا طبعت بكراس وكان الغلاف يحمل صورة طفل في المهد، الا ان السلطات الامنية كبست المطبعة وصادرت المطبوع منها، لكن اعداد قليلة منها هربت من المطبعة ووزعت سرا على عدد قليل من المهتمين بشؤون الادب وحركة السلام.

ولاعجابي بها بقيت في ذاكرتي بعضا من ابياتها واعتقد جازما ان ليس في العراق من يعرف هذه الابيات او سمع بغيرها. وارى من المفيد للقارئ او السامع العزيز ان يطلع عليها زيادة في معرفة هذا الشاعر المبدع وتخليدا لذكراه، واستميحكم عذرا ان اقرأ ما ظل عالقا في ذاكرتي منذ اكثر من خمسين عاما يقول:

لا شهوة الموت في اعراق جزار

تقوى عليها ولا سبل من النار الموت اوهى
يدا من ان يصافحها وهي التي مدت الموتي
باعمار وهي التي لمت الاحقاب واعتصرت
مما انطوى في دجاها فيض انوار
ومست لصخر فاخظلت جوانبه
بالسنبل الغض والريحان والغار
هذي اليد السمحة البيضاء كم مسحت
جرحا وكم ازهقت انفاس جبار
وسمرت نعش طاغوت بما شرعت
كفاه من خنجر يدمي واظفار يستمر شاعرنا بهذه المقدمة من الشعر العمودي الجزل ليرسم صورة للحرب واخرى للسلام وكانه يعقد مقارنة بين الدمار التي تخلفها الحروب وبين البهجة والفرح التي يصنعها السلام يرسم فيها صورة للحرب وما يلاقيه الانسان عند نشوبها – يقول:

صور لنفسك في الخيال اباك في وسط الحريق
يدعوك بالصوت الابح وقد تخبط كالغريق
ويمد من خلل الدخان يديه يبحث عن طريق
وانظر لامك وهي ترقد في التراب على قفاها
تتجاذب العقبان ثدييها ويقفأ ناظراها زتلق من
دمها الكلاب وينخر الدود الشفاها
وتملئ زوجك وهي تركض بين اشباه الجياع
شعثاء تلهث والرياح تصكها دون انقطاع
حملت قميصك في ذراع والرضيعة في ذراع
ثم يعود ليرسم لنا صورة جميلة لليلة شتائية سامره يظللها الامن والسلام فيقول:

وكانما ردت اليه صباه اخيلة الصلاء
مازال يقرأ والصغار يضاحكونك في الخفاء
وانظر لامك اي عجب يزدهيها
عادت على الصوت الرتيب الى الغوابر من سنيها
فتصورته فتى يجمع ساعديه ويحتويها

والقصيدة كلها تنتقل بين الحرب والسلام صور مرعبة واخرى مبهجة.

بقيت احتفظ بهذه الملحمة الشعرية المكتوبة بخط السياب سنين طويلة اعتزازا بصداقتي له وحفاظا لاثر مهم من اثاره الشعرية. ولكن كانت يد الغدر والجريمة اقوى عندما حدث انقلاب ٨ شباط سيء الذكر واحرقت مع ما احرق مما اعتز به والان اشعر بالحزن والاسى لفقدي وضياع هذا الاثر القيم لشاعرنا المبدع.

واخيرا اقول ان السياب هو احد الشعراء الذين سحقهم قدرهم وعاشوا امر التجارب واقساها سواء في الظروف الشخصية الخاصة والعاطفية والمعاشية والظروف الاجتماعية والسياسية خاصة، لكن يظل السياب طودا شامخا ونجما ساطعا في سماء الادب العربي ومنار للاجيال عبر السنين شأنه شان الشعراء العظماء امثال المتنبي والبحتري والنواسي وشوقي والجواهري وغيرهم من الشعراء الخالدين والافذاذ.

وخير شهادة لما قدمته على مسامعكم قول الكاتب والناقد الكبير الاستاذ الراحل جبرا ابراهيم جبرا في الذكرى الثامنة لوفاة السياب المنشور في مجلة الاقلام سنة ١٩٧٣.

"سيبقى بدر شاكر السياب موضوعا لحديث كبير ودرس كثير ونقد كثير لاجيال، وكلما مرت السنون على وفاته ازداد وضوح الدور الكبير الخلاق الذي لعبه شعره في الخمسينات... لقد اعطى السياب ابعاد الماساة، وتمكن من ابداع رموز، جذورها عربية ومعانيها كونية، مما لم يتحقق في تاريخ الادب الا على ايدي اكبر الشعراء".

فالسياب شاعر عاش بحق ظروف عصره، كما قدم للعراق والامة العربية ما ابدعت موهبته من اعمال شعرية زين بها جبين العراق.

نستطيع مما تقدم ان نستخلص من سيرة حياته تلك الخطوط والظلال بل الالوان التي اسهمت في رسم تلك اللوحة التراجيدية المسماة بدر شاكر السياب.

دور العراق في استقلال سوريا

خالد خلف داخل

في ١٩٤١/٩/٢٧ أعلن استقلال سوريا وتعيين الشيخ تاج الدين الحسيني رئيساً للجمهورية واعتراف بريطانيا بالاستقلال السوري في ١٩٤١/١٠/٣٠ آملين ان يسارع العراق ويحذو حذو بريطانيا للاعتراف باستقلال سوريا مما دفع الرئيس السوري الشيخ تاج الدين الحسيني الى الاتصال بالقنصل العراقي في بيروت عن طريق أحد الاشخاص حيث اعرب له عن استغراب الشيخ تاج الدين لعدم اعتراف الحكومة العراقية بالاستقلال السوري كما اعترفت مصر فبرر القنصل العراقي تاخر الاعتراف العراقي هي الازمة الوزارية التي مرت على العراق وفي لقاء جرى بين القنصل العراقي في بيروت تحسين قدري ووزير الخارجية السوري حيث اعرب الوزير السوري عن اسفه لتأخر العراق في الاعتراف بالاستقلال اذا كان السبب هو عدم رضا العراق عن بعض الشخصيات الحاكمة في سوريا فان الرجال ياتون ويذهبون بينما الاستقلال باق واعرب عن أمله في أن لايطول تأخير اعتراف العراق باستقلال سوريا نظرا لما يؤمله الجميع من القوة التي تكسب هذا الاستقلال اذا اعترف به العراف وخلال عام استمر العراق على موقفه من مسألة الاعتراف في سوريا رغم مطالبة القنصلية العراقية في دمشق والحاحها بضرورة الاعتراف كي نستمر في تادية اعمالها وكان وزير الخارجية السورية قد صرح في لقاء تم بينه وبين القنصل العراقي ان الحكومة السورية مستعدة ان تعقد مع العراق معاهدة على الشكل الذي يريده العراق اذا ما تم الاعتراف بينما راح نوري السعيد رئيس الوزراء يصرح بعدم شرعية حكومة تاج الدين الحسيني وحرض على اسقاطها وبقي الحال حتى انتخاب شكري القوتلي في ١٩٤٣/٨/١٧ رئيسا للجمهورية السورية حيث اعترف العراق بالوضع الجديد في سوريا ووافق مجلس الوزراء العراقي في جلسته بتاريخ ١٩٤٣/٨/٢٨ على الاعتراف باستقلال سوريا وقد لقي اعتراف العراق باستقلال سوريا ارتياحا كبيرا من قبل وزير الخارجية السوري وابدى رغبته في تبادل التمثيل الدبلوماسي وقد ابدى نوري السعيد رغبته في بناء سكة حديد تربط بغداد بحمص لربط العراق بالبحر المتوسط عن طريق طرابلس الى حيفا الامر الذي يرافقه تقوية الروابط بين العراق وسوريا وقد بعث رئيس الحكومة السورية سعد الله الجابري برقية الى نوري السعيد اشار فيها الى دلائل العطف والمودة المتبادلة بين العراق وسوريا.

لم يقتصر دور العراق في استقلال سوريا على مجرد الاعتراف بل سعى دبلوماسيا لدى الدول الاخرى كي تعترف بالدولة السورية ووضعها الجديد فقد أكد رئيس الوزراء حمدي الباجه جي في خطابه في مجلس النواب العراقي بتاريخ ١٩٤٤/١٢/٣١ في سياستنا الخارجية هو تأييد وترصين استقلال سوريا ولبنان وهذه امنية جميع الوزارات العراقية والحق يقال ان لها جهودا تلك الوزارات مبمشكورة في هذا الباب وعندما تولينا الحكم رأينا ان امريكا والصين وتركيا وايران وبولندا لم تعترف بهذا الاستقلال.

وان وزارة الخارجية العراقية اتت باعمال جديرة بالشكر لحث حكومات هذه الدول للاسراع بالاعتراف باستقلال سوريا ولبنان وقد اثمرت هذه الجهود واعترف الجميع بهاتين الدولتين وقد قام العراق بدور كبير عندما تظاهرت فرنسا باستخدام الضغط العسكري اثر تعزيز قواتها في لبنان بتاريخ ١٩٤٥/٥/١٧ وقد احتج السوريون واللبنانيون على انزال القوات الفرنسية في بيروت واصدروا بيانا مشتركا اعلنوا فيه قطع المحادثات مع فرنسا حول اتفاق معاهدة تقوض استقلال البلدين فقد قامت تظاهرة يوم ١٩٤٥/٥/٢٢ في بغداد وغيرها من الانحاء ورفعت نقابة المحامين برقيات الاستغاثة الى رئيس الوزراء حمدي الباجه جي والسفير البريطاني للتدخل في حماية القطرين الشقيقين من الاعتداء الفرنسي يذكر السيد عبد الرزاق الحسيني بموسوعته تاريخ الوزارات العراقية ج٦ فيقول كانت معظم الهيئات والمنظمات الشعبية في سوريا قد رفعت برقيات وعرائض وبيانات الى المفوضية العراقية بدمشق تطالب فيها العراق بالتدخل لتأييد سوريا ومن خلال ذلك وجهت جمعية الهلال الاحمر العراقي كتابا الى السكرتير العام لعصبة جمعيات الصليب الاحمر الدولية في جنيف فيه على اجراءات فرنسا التعسفية في سوريا كما ارسلت بعثة طبيعة ووزعت اربعة الاف دينار ووجهت نداء الى الشعب العراقي جمعت على اثره ١٥٩٩ دينار لشراء أرز وتمور ووافقت مديرية سكة الحديد على اعفاء الجمعية من رسوم النقل وتطوعت سيدات لخياطة الملابس وجمعن مبلغاً قدره (١١٠٠) دينار هذا الموقف الشعبي اما الموقف الرسمي فقد ادلى رئيس الوزراء حمدي الباجه جي ان انزال الجنود الفرنسيين يرتب عليه عواقب وخيمة لعرقلة استقلال سوريا ولبنان وان الحكومة العراقية سوف لا تتردد في ارسال جيش اذا طلب مجلس الجامعة العربية الذي دعت سوريا لعقده ولما عقد مجلس الجامعة العربية قال حمدي الباجه جي رئيس الوزراء باسم العراق حكومة وشعبا اعلن استعدادنا لنصره سوريا ولبنان الى اقصى حدود النصرة وبجميع الوسائل التي يقررها مجلس جامعة الدول العربية التي كنا ولانزال نعتبرها حارسة امينة لصيانة حقوق العرب فتأزم الموقف واصبح الجيش العراقي على أهبة الاستعداد للدخول الى سوريا عندما تدخلت بريطانيا واندرت القوات الفرنسية واضطرت الى تدعيم مطالب سوريا بجلاء القوات البريطانية والفرنسية بسبب الموقف الدولي ايضا وقد شارك العراق سوريا بجلاء القوات الفرنسية فارسلت وفدين احدها عسكري والاخر مدني عندما قررت الحكومة السورية ان تحتفل في اليومين ١٧ و ١٨ من نيسان ١٩٤٦ فارسلت البلاد العربية وفورا للمشاركة وتألف في العراق وفدان احدهما عسكري قوامه خمسة ضباط يمثلون مختلف اصناف الجيش معهم ٣٥ جندياً من الحرس الملكي والاخر مدني قوامه وزير المعارف نجيب الراوي ومدير الخارجية العام الدكتور محمد فاضل الجمالي وثلاثة من الصحفيين كما تبادل توفيق السويدي رئيس الوزراء البرقيات بهذه المناسبة مع سعد الله الجابري رئيس وزراء سوريا وبهذا الجلاء كان استكمال استقلال سوريا يستدعي اعتراف تركيا بهذا الاستقلال كونها تحتل لواء الاسكندرونة فقد ارسل ابناء الاسكندرونة برقية الى وزير خارجية العراق بواسطة المفوضية العراقية بدمشق يطالبون فيها اثارة موضوع قضية ارجاع اللواء الى سوريا في مؤتمر سان فرنسيسكو كما طالبت لجنة الدفاع عن الاسكندرونة في سوريا نشر مقال في الصحف العراقية عن الاساليب التركية التي وافقت الاستفتاء من غش ورشوه ووعد ووعيد وانعقد مؤتمر سان فرنسيسكو ولم تحفره سوريا ولبنان خوفا من غضب فرنسا ووقف العراق موقفا حازما لحماية ودعم مصالح الدول العربية وقد اشار وزير الخارجية العراقي ارشد العمري في خطابه في مجلس النواب انه طلب من الحكومتين السورية واللبنانية حضور المؤتمر وقد نجح الوفد العراقي في حمل مؤتمر سان فرنسيسكو على توجيه الدعوة الى سوريا ولبنان لحضور جلسات المؤتمر بحيث يكون لها ما لبقية الشعوب المحتلة من حقوق وتتحملان ما يتحمله غيرها من واجبات وقد وافق المؤتمر على ذلك ولذا سارع وزير خارجية البلدين السوري واللبناني بارسال برقيات شكر الى وزير خارجية العراق ارشد العمري ورئيس وفد العراق الى مؤتمر سان فرنسيسكو.

الجمالي

حمدي الباجه جي

ارشد العمري

توفيق السويدي

حقائق عن نسب الأب الكرملي

رفعة عبد الرزاق محمد

في حياة الأفذاذ من رجال العلم والأدب، الكثير من الأسرار التي تتصل بسيرتهم، يكتشفها الباحث بين حين وآخر في الزوايا المنسية، وعلى االرغم من الكتابات الكثيرة عن سيرة الأب انستاس ماري الكرملي (١٨٦٦ – ١٩٤٧) ، فان جوانبا عديدة لازالت مطوية، يلفها الغموض ويكتنفها النسيان، تحن الى من يزيل عنها الابهام. ولاتتم هذه العملية إلا بالعودة الى الوثائق الشاردة، والروايات المتفرقة في بطون الكتب والدوريات. ومن القضايا التي تستحق التحقيق والبحث، قضية نسب الأب الكرملي واحوال اسرته.

ومع ايماننا الكامل بان الأب انستاس ماري الكرملي، كان من ابرز المنافحين عن حياض لغة الضاد واحد سدنتها، وحبه لها بكل جوارحه، فان قضية نسبه، مازالت تثير الباحث لاستقصائها والولوج الى اسرارها. وازاء الادلة الكثيرة التي تثبت عروبته، فان بعض الاشارات الى غير ذلك، جديرة بالدرس والتحقيق، للوصول الى الحقيقة.

والمعروف ان والد الأب الانستاس، من اسرة لبنانية تدعى (آل عواد)، اسمه جبرائيل يوسف عواد، كانت ولادته عام ١٨٢٣ في حي (بحر صاف) من أحياء (بكفيا) في جبل لبنان.

هذا ما ذكره الاستاذ كوركيس عواد في كتابه الفذ عن الأب الكرملي (ص٧). بينما سماه الاستاذ جورج جبوري (ميخائيل عواد)، وسماه الاستاذ روكس بن زائد العزيزي (ميكائيل الماريني).. ولوالد الأب انستاس ترجمة موجزة في كتاب (تقويم بكفيا الكبرى وتاريخ اسرها) للشيخ ادمون بليبل المطبوع في لبنان عام ١٩٣٥ (ص ٢٥٦ – ٢٦٠).

وقد ذكر الكرملي في مخطوطته (معين المحقق ومعين المدقق) المحفوظة في دير الأباء الكرمليين ببغداد، والمكتوبة بخطه عام ١٩٠٨ نبذة، جاء فيها: ابوه ميكائيل ماريني واسمه الحقيقي جبرائيل عواد الماروني من بحر صاف في بكفيا من قرى لبنان، وبيت عواد اشهر من ان يذكر، وابدل اسمه جبرائيل بميخائيل لأمور سياسية كانت في ذلك العهد.. فرحل من لبنان مرافقا احد المنتمين الى نابليون بونابرت. وكان قد جاء سورية ثم رحل منها الى الاستانة ومنها الى فارس والعراق، فكان جبرائيل رفيقه وترجمانه، وكان يفهم ١٤ لغة. وفي بغداد عرف مريم مرغريته او (لؤلؤه) من بيت اوغسطين جبران البغدادي، وامها (مرتا) ابنة رحماني الكلداني البغدادي، فتزوجها فولد له منها خمسة بنين واربع بنات، وبطرس (يقصد الكرملي نفسه) كان الأبن الرابع من ابناء جبرائيل.

وللمزيد من المعلومات عن هذه الاسرة، ولوضع الحقيقة في موضعها، فان نسابة الاسر المسيحية في العراق، الأب نرسيس صائغيان (المتوفى سنة ١٩٥٣) ، كتب في الصفحة (٦٢٥) من المجلد الثالث لمجلة لغة العرب، مقالا عن احدى الاسر، قال فيه ان الياس جرجي اقترن في اوائل سنة ١٨٥٩ بكترينه صابات ابنة اوغسطين بن الياس جبران الكلداني، واسم امها مرثا بنت رحماني. واولاده الذين عاشوا هم: مينا ويوسف ونعوم واليزه وجونيت، وهذه تزوجها يوسف بن ميخائيل بن يوسف ماريني (يعني به شقيق الأب انستاس الكرملي)، وهي ابنة خاله. وفي الهامش يستدرك فيقول: لان ميخائيل يوسف ماريني عواد واسمه الحقيقي جبرائيل بن يوسف عواد الماروني وهو من بحر صاف، اتى بغداد قبل منتصف القرن التاسع عشر وكانت مهنته التعاطي بالعاديات (الاثار) وتزوج في العشرين من حزيران سنة ١٨٥٢ بلولو ابنة اوغسطين بن الياس جبران المذكور.

لماذا هذا التأكيد على نسب الأب الكرملي؟

توجد بعض الاشارات الى ان الأب الكرملي من اصول غير عربية، فقد ذكر المرحوم ابراهيم الدروبي في كتابه الفذ عن البغداديين واخبارهم (ص٢٣٤) ان الكرملي من اسرة ايطالية نزحت الى لبنان اوستوطنت هناك مدة طويلة ثم اجرت الى بغداد. ولم تكن رواية الدروبي ضربا من الخيال، فقد عثرنا على شيء من هذا (الأمر الغريب) في رسائل الدكتور نابليون الماريني، شقيق الأب انستاس، الى شقيقه. ففي رسالته المؤرخة في ٢٠ آذار ١٩٠٧، ذكر انه من اصل ايطالي ، بل انه ذكر في رسالته ليوم ٢٥ تشرين الثاني ١٩٠٨ ان اباه لو قام من القبر واعترف انه من آل عواد فلا يصدقه، بل انه سيقنعه عكس ذلك، ولم يكتف بهذا بل صرح في رسالته ليوم ٢٧ تموز ١٩١٢ ان اخواله يرجعون الى اصل ايطالي وان جده لامه عاش في استانبول ثم رجع الى بغداد.

غير ان ما يضعف هذه الدعوى، ويؤكد عروبة الأب الكرملي، ان ابن عمه المدعو عواد منصور، ذكر في رسالة له للكرملي في ٢٨ كانون الأول ١٩٠٩ ان الدكتور نابليون اكتسب الجنسية الايطالية، واشاع النسب الايطالي ليكون ضمن حماية القنصل الايطالي وليتخلص من الضرائب (ملفات الكرملي المحفوظة في دار المخطوطات ببغداد، الملفان الرقمان ٣٤٧٨٧، ٣٤٦٤١).

ذكر عدد من اصدقاء الأب انستاس الكرملي انهم سمعوا من الأب ان اصله عربي، وكان هؤلاء الاصدقاء من الملازمين للاب الكرملي والعارفين اسراره واحواله، فقد كتب المرحوم مهدي مقلد (المتوفى سنة ١٩٧٩) ان الكرملي ذكر مرات عديدة انه ينتسب الى قبائل المرده العربية الذين يسكنون جبال وانه، وان المرده في الاصل من بني مراد، القبيلة الكبيرة في اليمامة (جريدة الايام البغدادية ١١ تشرين الاول ١٩٦٢) ، بينما ذكر المرحوم الدكتور مصطفى جواد ان الكرملي ذكر في احدى رسائله له ان حبه لأهل اليمن يعود الى ان اورمته من تلك الارجاء (الالوسي ص٩). واكد المؤرخ المحقق يعقوب سركيس (المتوفى سنة ١٩٥٩) ان والد الأب انستاس من اسرة آل عواد العربية وليس له اية صلة بايطاليا (الايام ٨ تشرين الأول ١٩٦٢).

وهكذا تبين لنا اصل الأب انستاس الكرملي بجلاء. اما بدء صلة اسرته بالعراق، فقد كان ابوه مترجما عند امير فرنسي من عائلة نابليون بونابرت، ولتبقى ذكرى هذا الامير حية لديه، فقد اطلق اسم نابليون على احد ابنائه، وقد اكمل هذا الابن دراسته في فرنسا واصبح طبيبا معروفا، كتب العديد من البحوث الطبية، وقد ترجم شقيقه الاب انستاس بعضها الى اللغة العربية، ونشرها في مجلة (المشرق) البيروتية، قبل ان يدب الخلاف بينه وبين صاحبها الأب لويس شيخو اليسوعي. وتوفى الدكتور نابليون الماريني عام ١٩٢٥، تاركا كتاباً طريفا عن بغداد، سماه (تنزه العباد في مدينة بغداد)، طبع في بيروت عام ١٨٨٧م.

وقد رافق (جبرائيل عواد) الامير الفرنسي في رحلاته الى مصر ولبنان وسوريا والاناضول وايران.. والعراق. ويبدو ان رحلاته كانت للبحث عن الآثار القديمة ونقلها الى اوروبا، وقد عرف جبرائيل فيما بعد بنشاط اثاري تجاري كما سنرى. وما ان انتهت مهمته مع الامير حتى قرر ان يستقر في العراق، فاقترن عام ١٨٥٩ بكريمة احدى الأسر الكلدانية ببغداد، فرزق منها خمسة ذكور واربع اناث. ومن اولاده بطرس الذي انخرط في السلك الديني واشتهر باسم انستاس ماري الكرملي، وكانت ولادته في اليوم الخامس من آب ١٨٦٦.

ونذكر هنا ان خال الأب انستاس، هو الشماس فرنسيس اوغسطين جبران، المتوفى يوم ٢٨ كانون الاول ١٩٢٤، كانت له بعض المساهمات الفكرية (الكتاب الذهبي ليوبيل مجلة المقتطف ص١٢٩). وقد اشترك مع وجهاء الكلدان في بغدادا واسس (مدرسة الاتفاق الكاثوليكي) عام ١٨٧٨ م في كنيسة الكلدان في مجلة (عقد النصارى). ويذكر المرحوم سامي خوندە (المتوفى سنة ١٩٩٠) انه كان يرتدي طربوشا احمر وعباءة سوداء وذا لحية كثه. وقد خلف ولدا يدعى (نرسي) استخدم في العشرينيات في مديرية البريد والبرق (الايام ١٢ تشرين الاول ١٩٦٢).

اشتغل والد الأب انستاس بتجارة القطع الاثرية وبيعها للسواح الاجانب، وكانت اثارنا يومذاك مشاعة للجميع، لا قانون يحميها ولا وعي يدرك اهميتها التاريخية. وكان الرحالة الاجانب يجوبون ارض العراق بحثا عن الآثار واخبارها. ومن الطريف ان احد هؤلاء الرحالة ترك لنا وصفا لوالد الاب انستاس الكرملي.

حدثنا الرحالة الهولندي (نيجهولت) الذي زار بغداد سنة ١٨٦٦ (وهي سنة ولادة الكرملي) عن شخص طريف تعرف عليه في دير الاباء الكرمليين ببغداد، يدعى الأب ميخائيل، ويقول: وليس في هذا الاسم اية دلالة دينية، وهو ترجمان الدير، وقد قرن بهذه الوظيفة صفة تاجر عاديات وتحف، مما جعل له صلة بجميع الاوروبيين، ولم يكد يغتبط بالبنية التي خلق عليها او ابتلى بها على الاصح.

تصوروا وجها عريضا وفما ضخما مع عينين صغيرتين وكتفين اختلف فيهما العلو والبروز، كل ذلك قائم على ساقين معاديين للخط المستقيم. وخلاصة القول فيه انه راس (كازيمودو) على جسم (تريبوليه) (الاول بطل رواية احدب نوتردام، والثاني مهرج البلاد الفرنسي ايام الملك لويس الثاني عشر).

ومهما يكن من امره، فانه تزوج من فتاة ارمنية جميلة، انجبت له اربعة اولاد، كان يتبجح بتنشئتهم على احسن المبادئ واقومها. وكانت مبادئه في التربية تقوم على الضرب من الصباح الى المساء.. يضاف الى ذلك ان ميخائيل الورع المتدين كان يستند الى آية الكتاب المقدس التي تنص على التأدب، علاقة المحبة الابوية.

كان ميخائيل وكيل الدير الكرملي، يقوم بكل اعماله في الخارج، اما في الداخل فكان يتعهد الكنيسة بالعناية ويخدم في القداس ويقرع النواقيس ويتولى اعمال الترجمة والقيم والمتعهد والشماس.. فكان يبحث عن الاجانب ويتعهد بخدمتهم، كان يشتري لتجارته كل ما يقدم اليه من مواد غريبة كما يعتقد. بيد ان معلوماته الاثارية قاصرة وكثيرا ما كان يقع فريسة الخداع لان البعض تفنن في تقليد العاديات وتزييف الاحجار.

ثم ينقل معرب الرحلة (مير بصري) شيئا عن معاملته في بيع العاديات، حتى يذكر: ان ميخائيل الموما اليه هو والد الأب انستاس الكرملي على ما حققه المحقق يعقوب سركيس، وهو اكثر الناس صلة بالكرملي (جريدة الايام) ٨ تشرين الأول ١٩٦٢).

واخيرا، فان كلمة الدكتور مصطفى جواد على قبر الكرملي ، تغني عن كل قول، قال: الأب انستاس رجل وهب نفسه للغة العربية، فكان باراً بها بر الوالد الصالح بامه و ابيه، عاطفا عليها ايام شدتها وضرائها، حافظا لها ايام كانت هزأة الهازئين وفكاهة الافاكين ان في اثاره وسيرته العلمية ما يجعله خالد الذكر ابد الآبدين ودهر الداهرين.

كيف دخل البريطانيون بغداد في آذار 1917

محمد ابراهيم محمد

في يوم ١١ آذار ١٩١٧ ومنذ خمسة وتسعين عاماً مضت دخلت قوات الاستعمار البريطاني مدينة بغداد بعد انسحاب الجيش العثماني منها اثناء الحرب العالمية الاولى من القرن العشرين الماضي حيث كانت ارض العراق مسرحاً حربيا للاطماع الاجنبية انذاك فقد عين الجنرال (جون داكن) من قبل بريطانيا قائداً عاماً للحملة في العراق وقد قسم احتلال العراق على ثلاث مراحل فالمرحلة الاولى تم تعيين الجنرال (نكسون) قائداً للحملة وفي هذه المرحلة تم احتلال الفاو والبصرة والناصرية والمرحلة الثانية عين الجنرال (برسي ليك) قائداً للحملة حيث ترعرعت فكرة الزحف على بغداد وباءت هذه المرحلة بالفشل الذريع باستلام القوات البريطانية في الكوت مع قائدها الجنرال (طاوزند) فالمرحلة الثالثة والاخيرة من مراحل احتلال العراق قد بدأت باحتلال مدينة بغداد حيث تم تعيين الجنرال (مود) قائداً للحملة وفي هذه المرحلة بدأ الجنرال المذكور يهاجم مواقع العثمانيين قرب الامام محمد (بجوار الكوت) في كانون الثاني سنة ١٩١٧ اضطر العثمانيون الى الانسحاب الى العزيزية فتعقبتهم القوات البريطانية وفي ٢٨ / شباط من نفس السنة كانوا في (المدائن) وفي نهاية هذه المرحلة تم احتلال مدينة بغداد في (١١/ آذار/ ١٩١٧) ودخول القوات البريطانية مدينة بغداد وانسحاب العثمانيين من البلد (١٠ – ١١ / آذار / ١٩١٧) حيث تعتبر ليلة انسحاب العثمانيين ليلة مشؤومة سوداء لدى اهالي بغداد.

مرحلة الوقوف امام بغداد

بعد الاحتلال البريطاني لجنوب العراق بدأت الاستعدادات العسكرية البريطانية لاحتلال مدينة بغداد واستأنفت العمليات الحربية في جبهة العراق بقيادة الجنرال (سير ستانلي مود) وبدأ الزحف البريطاني باتجاه بغداد ففي هذه المرحلة كان العثمانيون الاتراك يتراجعون بسرعة امام القوات البريطانية وكان من الصعب ان يصمدوا للدفاع عن بغداد مع استعداداتهم وضعف جنودهم وان القائد (خليل باشا) الذي كان واثقاً من نفسه ومن استطاعته وقف البريطانيين في الكوت اصبح يفكر في ترك بغداد ولكن القائد (انور باشا) رفض الموافقة على الانسحاب من بغداد وامره بالصمود والدفاع عنها مهما كلف الأمر والمعروف ان الضباط والجنود العثمانيين مشهورين بعنادهم وبثباتهم في ١٩١٧ ان يعبروا نهر ديالى ولكن الضفة الثانية كانت عامرة بالبيوت والبساتين وكان خير عون للاتراك على التحصين فيها ولما جرب البريطانيون عبور النهر اصلاهم الاتراك ناراً حامية وكبدوهم خسائر فادحة جداً ولكن البريطانيون تمكنوا اخيراً من عبور نهر ديالى بقوات كبيرة بعد ان وصلتهم التعزيزات فانسحب الاتراك العثمانيون امامهم بشكل منظم وتصف المصادر الاجنبية الهجوم البريطاني الذي انتهى باحتلال بغداد (بان الجنرال مود) هاجم مواقع الترك بالغرب من الامام محمد بجوار الكوت في (٩ /كانون الثاني / ١٩١٧) حتى استولى عليها في شباط وفي ٢٣ قد اجتازت القوات البريطانية نهر الفرات وعسكرت على ضفة دجلة اليمنى وصبت نارها على الضفة اليسرى ثم نصبت جسراً على دجلة في (دورة شمران) فعبرته في ٢٤ شباط وعندئذ انسحب الاتراك العثمانيون الى (العزيزية) في الخامس والعشرين من الشهر المذكور واستولى البريطانيون على مراكبهم النهرية (بصرة / وسلمان باك وطوغان) وواصلوا الانسحاب الى سلمان باك في ٢٨ شباط بعد ان تكبدوا خسائر كبيرة وادرك خليل باشا وبعد فوات الأوان الخطأ العظيم الذي ارتكبه في تقاعسه عن مطاردة البريطانيين وبقائه في مركزه وثقته بقوته وشعر بالندم الشديد على ما فرط منه من الاهمال.

وتقول المصادر البريطانية ان البريطانيين اخذوا يتقدمون في الضفة اليمنى دون مقاومة في شهر آذار سنة ١٩١٧ وان حدثت بعض المناوشات فانها لم تكن من الخطورة بحيث يذكرها التاريخ واكثرها وقعت قرب (تل اسود) على مقربة من (ام الطبول) بينما كانت خيالة البريطانيين تهاجم الجناح الايمن العثماني وفي اليوم العاشر من شهر اذار ١٩١٧ تطورت الحالة تطورا جديداً وكانت الفرقة ٢٨ البريطانية قد عبرت ديالى دون مقاومة تذكر واخذت عندئذ القوات البريطانية تهاجم مواقع الاتراك العثمانيين الاخيرة في (تل محمد) وفي الوقت نفسه اندفعت قبالة البريطانيين واصبحت على مسافة خمسة اميال من بغداد فقط واخذت تهدد سكة حديد بغداد – سامراء ومن المؤكد ان هذه الامور جميعها قد اجبرت خليل باشا على التفكير في مغادرة بغداد وعدم المقاومة فيها وفي اطرافها.

مرحلة اخلاء بغداد ودخول القوات البريطانية فيها:

في مساء (١٠ – ١١/ آذار سنة ١٩١٧) اضطر الاتراك العثمانيون الى اخلاء بغداد دون مقاومة وترك آخر شرطي واخر جندي تركي بغداد حوالي الساعة الثانية من صباح يوم الاحد (١١/ آذار/ ١٩١٧) حيث غادر القائد العثماني خليل باشا بغداد من محطة قطار الكاظمية قاصداً سامراء وهو يندب خطة الاقليم بعد ان عقد مجلسا حربياً مع القادة الميدانيين في مخفر شرطة جسر الخر الذي يقع حاليا في ساحة النسور ببغداد وظلت المناقشة حادة جارية بين ضباط الاركان وخليل باشا حتى منتصف الليل حتى اقتنع خليل باشا بوجهة نظر خيالة مسافرة الى اسطنبول واستلم الجواب بالموافقة واخذ الجيش التركي بالانسحاب وكان الى مدينة سامراء بطريق القطار الذي كان الالمان قد امنوا القسم الواقع بين بغداد وسامراء كما استفاد الترك من طريق (دجلة) النهري استفادة تامة ونسف الاتراك ليلة مغادرتهم بغداد العتاد المخزون في (باب الطلسم) وهي احدى ابواب سور بغداد القديم وتعتبر ساعة الانفجار بالنسبة الى اهالي بغداد ساعة رهيبة حيث اهتزت بغداد من اقصاها الى ادناه كما قام الاتراك بتخريب محطة اللاسلكي الالماني في الوشاش والذي يقع حاليا في منتزه الزوراء واستصحبوا معهم السجلات الرسمية بما ذلك السجلات العقارية وقضى اهل بغداد تلك الليلة بين انفلات القنابل وأزير الرصاص وهبوب العواصف الترابية المزعجة حيث في تلك الليلة اجتاحت بغداد عاصفة هوجاء لم تشهد قبلها مثيلا منذ ان بناها المنصور حتى انها اقتلعت منارتي جامع الارصفية من حوضها بعد اخلاء بغداد من قبل الاتراك يوم العاشر من اذار سنة ١٩١٧ واعياهم الدفاع عنها وعلم الجيش البريطاني بعد منتصف الليل بانسحاب الجيش التركي من بغداد حوالي الساعة السادسة صباحا من يوم الاحد المصادف (١١/ آذار/ ١٩١٧) تقدمت دورية من فوج الحرس الاسود البريطاني وبامرة الملازم (هوستن) واحتلت محطة غربي بغداد والتي كانت قبل ازالتها قائمة بجوار جامع (محمود بنية) الحالي في نفس الوقت كانت السرية الاولى من فوج بوش الخامس تعتبر اول قطعة عسكرية بريطانية دخلت بغداد بقيادة النقيب (هاروشس) بعد ان عبرت نهر دجلة حيث رفعت العلم البريطاني في اعلى السراي أو (القشلة) القائمة حتى الان في جانب الرصافة ثم نقل الى برج الساعة المطل على دجلة داخل السراي حيث ذهب اهالي بغداد الى القشلة ليشهدوا مراسيم انزال العلم التركي ورفع العلم البريطاني حيث كان ذلك المشهد مؤثراً فاخذ البغداديون والبغداديات يجهشون بالبكاء والنحيب المكبوت لانهم شاهدوا انزال علم دولة مسلمة مدحورة ورفع علم دولة مسيحية منصورة ولما دخل البريطانيون بغداد يوم الاحد المصادف ١١/ آذار / ١٩١٧ ساد الخوف على الجميع وضاعت الوسيلة التي يوزن بها الشعور العام ازاء هذا الدخول فكثر المراؤون وانتشر المنافقون وانقسم الناس بحكم الوضع والزمن الى قسمين وكان احداهما يميل الى الترك ويروج الشائعات بضرب عودتهم وكان القسم الاخر يحلم بقيادة دولة عربية تجمع شمل العرب وتوحد صفوفهم وتجعلهم امنا بعد خوفهم وعزاً بعد ذلتهم وما ان حلت الساعة التاسعة صباحا من اليوم المذكور حتى دخلت الفرقة (١٣) الانكليزية وعسكرت شمالي بغداد وبمسافة ميلين قرب (صليخ) على ضفة دجلة اليسرى وعسكرت الفرقة (٧) بجوار الكاظمية وفي ذات اليوم دخل ظهرا الجنرال (مود) القائد العام للجيش البريطاني في بغداد على ظهر باخرة انكليزية وقد سار بها في نهر دجلة ومعه هيئة رافقته الى المقيمية البريطانية سابقاً في السنك واتخذها مقراً لقيادته واستقبل جمع غفير من اليهود والنصارى وبعض المسلمين من اهل بغداد الجيش البريطاني فاحتل الانكليز دار الحكومة والمباني الاميرية وبدأ موظفو الاستخبارات البريطانية يتحرون عن دور الضباط المستخدمين في الجيش التركي فيصادرون اموالهم باسم الغنائم ويلقون القبض على من يعنيهم في بغداد وكان الجنرال (مود) من الضباط البارزين وقد تخرج من كلية الاركان في كابيرلي وشغل مناصب الركن المهمة في مصر وفي حرب البوير في جنوب افريقيا وفي بدء الحرب في سنة ١٩١٤ اشغل منصب رئاسة ركن فيلق ثم قيادة الفرقة (١٣) في العراق وعلى اثر هذا الانتصار تم ترقية الجنرال (مود) الى رتبة فريق اول وقد تلقى برقيات التأييد من الحلفاء ومن الملك جورج الخامس ومن شريف مكة وغيرهم من الحلفاء ونصب فيها تمثال له في جانب الكرخ وقد بقي مدة من الزمن حتى قامت جماهير بغداد بتحطيمه صباح ثورة ١٤ / تموز/ ١٩٥٨ وبعد اكمال احتلال بغداد اذاع مقر قيادة الجنرال (مود) بيان رسمي سياسي الى اهل بغداد وكان يبلغ عن طريق كل مختار وقد اذيع يوم ١٩/ آذار/ سنة ١٩١٧ وجاء فيه (ان جيوشنا لم تدخل مدنكم واراضيكم بصفة قاهرين او اعداد بل بصفة محررين) ولقد عانت بغداد طيلة فترة الاربع سنوات (١٩١٤ – ١٩١٨) ما عانت من اهوال ونكبات لم تشهد مثلها منذ أن اجتاحها هولاكو سنة ١٢٥٨ م حيث يذكرها التاريخ من تدمير وهلاك.

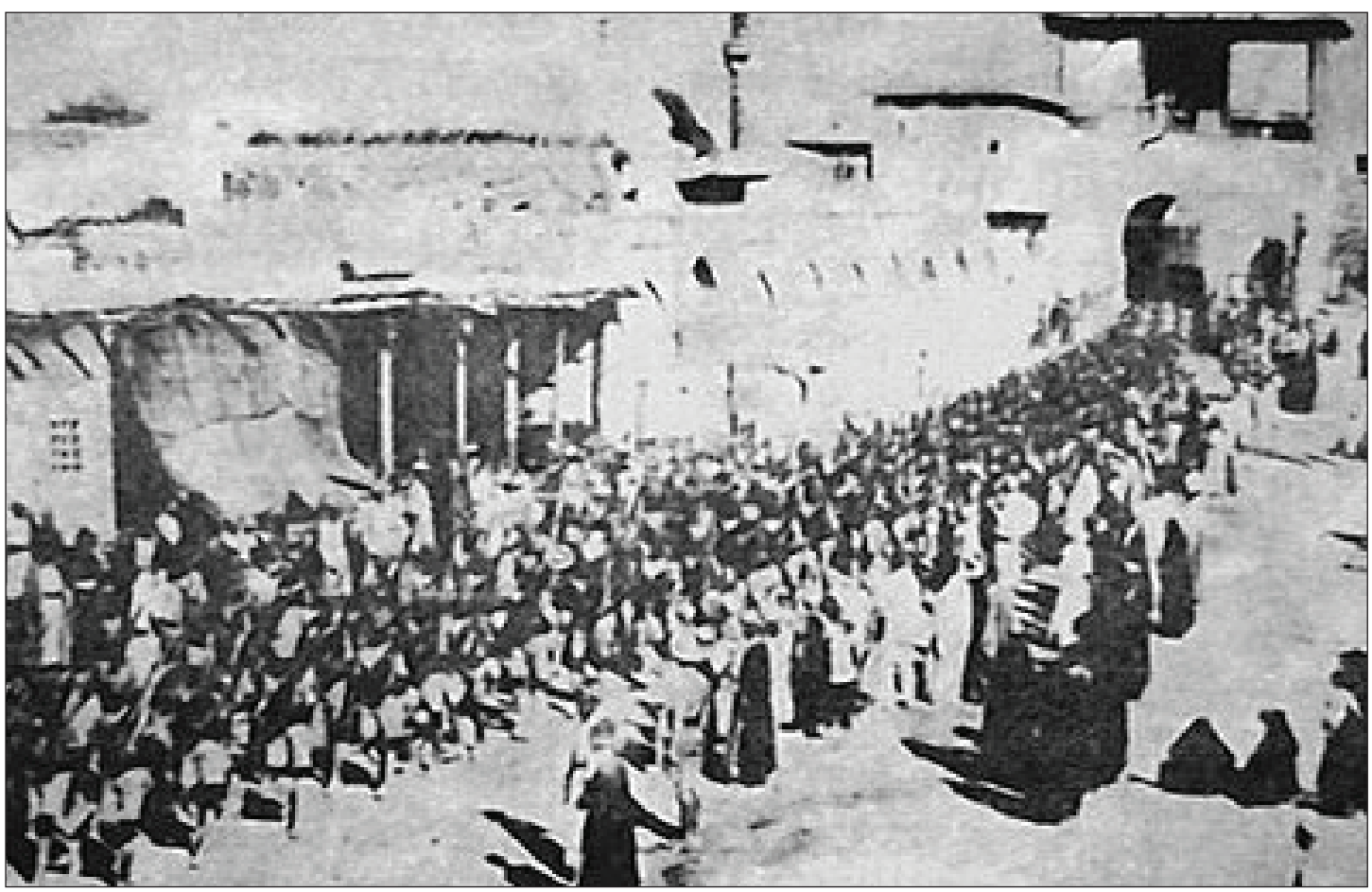

محطات في تأريخ شرطة العراق

حركة الفريق بكر صدقي سنة 1936

قراءة في مذكرات معاون شرطة السراي محيي الدين عبدالرحمن

د. أكرم المشهداني

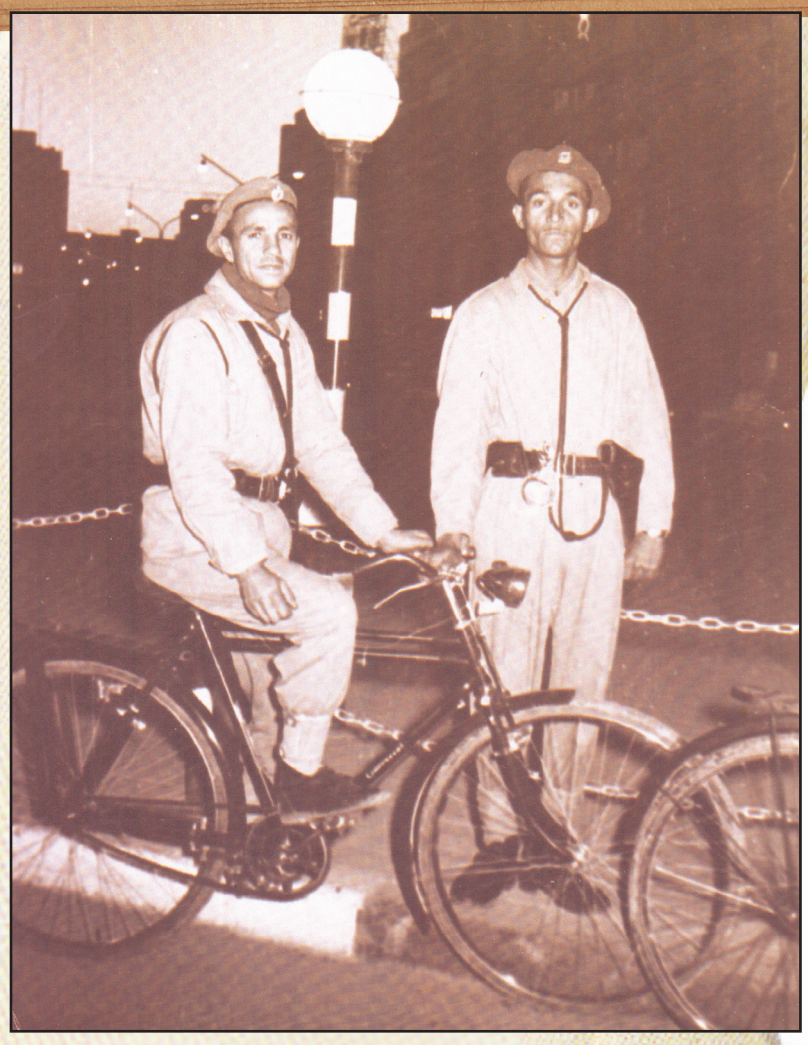

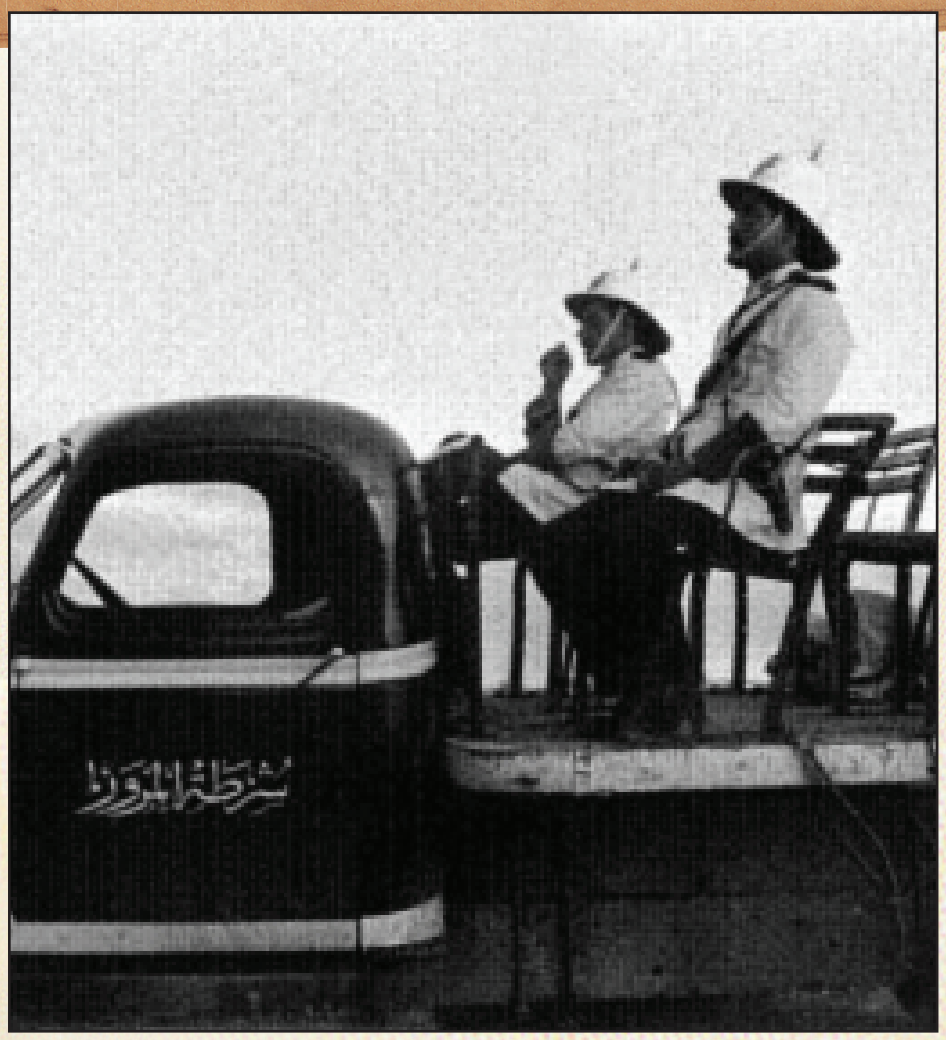

اغتيال وزير الدفاع جعفر العسكري في معسكر الجيش في منطقة خان البير ومقتل بكر صدقي في الموصل!..

تتويج جلالة الملك/ فيصل الأول

هذه قراءة تيسرت لي في مذكرات معاون شرطة السراي ١٩٣٦ المرحوم محيي الدين عبدالرحمن، وهو من مدراء الشرطة القدامى في فترة الثلاثينات والأربعينات، والمشهود لهم بالكفاءة والمقدرة، وقد خلّف أثنين من ضُباط الشرطة البارزين هما كل من:

عميد الشرطة (المرحوم) طارق محيي الدين مدير التدريب في مدارس الشرطة، وعميد الشرطة المتقاعد عدنان محيي الدين (أطال الله في عمره) والأخير هو صاحب الفضل في إطلاعنا شخصيا على مذكرات والده رحمه الله، التي تعكس ما حصل في مرحلة مبكرة من تأريخ العراق الحديث والدور الذي أدّاه معاون شرطة السراي أبان حركة بكر صدقي، بناءً على ما كتبه في مذكراته الشخصية.

الفريق/ بكر صدقي

في صبيحة يوم ٢٩/ تشرين الأول /١٩٣٦ كان معاون شرطة السراي المرحوم محيي الدين عبدالرحمن في مكتبه بالمعاونية المذكورة، يزاول مهمات وظيفته الشرطوية، إذ سمع أزيز طائرة عسكرية تحوم حول منطقة السراي (الميدان وباب المعظم) ثم ابتعد صوتها، وبعد فترة قليلة حضر المعاونية أحد المفوضين وهو يحمل منشورا وأبلغ معاون السراي بأن هذا المنشور هو من ضمن مجموعة كبيرة من المناشير ألقتها تلك الطائرة، وتبين أن هناك حركة انقلابية في الجيش يقودها الفريق بكر صدقي، العسكري قائد الفرقة الأولى في بعقوبة، ويُطالب فيها من الملك غازي بتنحية وزارة ياسين باشا الهاشمي عن الحكم، وإسناد الوزارة الى حكمت سليمان خلال ساعات والا سيتم التغيير بقوة الجيش.

في صبيحة يوم 29/ تشرين الأول /1936 كان معاون شرطة السراي المرحوم محيي الدين عبدالرحمن في مكتبه بالمعاونية المذكورة، يزاول مهمات وظيفته الشرطوية، إذ سمع أزيز طائرة عسكرية تحوم حول منطقة السراي (الميدان وباب المعظم) ثم ابتعد صوتها، وبعد فترة قليلة حضر المعاونية أحد المفوضين وهو يحمل منشوراً وأبلغ معاون السراي بأن هذا المنشور هو من ضمن مجموعة كبيرة من المناشير ألقتها تلك الطائرة

ياسين باشا الهاشمي

ترك معاون شرطة السراي مكتبه في الحال وتوجه الى مدير شرطة لواء بغداد واطلعه على المنشور، فتملك الأخير الوجوم والعجب من هول المفاجأة، وطلب منه مراقبة الأوضاع ومضاعفة الدوريات في الشوارع والأسواق. عاد المعاون الى مكتبه وأمر مراكز الشرطة التابعة له بإخراج الدوريات،وعاد بذاكرته الى الوراء حين كان في اسطنبول وإلتقاءه فيها بالفريق بكر صدقي في عدة مناسبات، وتذكر معرفته

الشخصية به فقد عرف عنه أنه كان ضابطاً لامعاً جريئاً وجسورا، يتصف بالصفات العسكرية الصارمة الشديدة، ولكنه في ذات الوقت شخصية تميل الى أعمال اللهو و الفساد.

وفيما كان معاون شرطة السراي غارقا في تأملاته وتحليلاته، إذا بالطائرة تعود وتحوم فوق منطقة وسط بغداد (باب المعظم و السراي) وألقت ثلاثة قنابل سقطت إحداها في ساحة سراي الحكومة (القشلة)، و الثانية في الميدان قرب السوق، و الثالثة سقطت في نهر دجلة.

وقد أدى سقوط هذه القنابل الى مقتل شخص واحد وجرح الكثير من المارة الذين جرى نقلهم الى المستشفى لتلقي العلاج. وعلى الفور هرع المعاون محيي الدين الى مكتب مدير شرطة لواء بغداد وأطلعه على الموقف المستجد و التطور الخطير الحاصل، وهذا بدوره بادر إلى إبلاغه بان رئيس الوزراء ياسين الهاشمي قد قدم استقالة وزارته الى الملك غازي فقبلها الملك وأسند الوزارة الى حكمت سليمان الذي كان حاضرا في قصر الزهور، وان وزير الدفاع جعفر العسكري قد توجه الى منطقة تحشد الجيش في منطقة (خان البير) لاقناع الفريق بكر صدقي بالعدول عن خطته، وأسرع الخطى الى ساحة باب المعظم حيث لابد من قدوم الجيش من جهتها، فشاهد هناك مختار محلة البارودية (المدعو توفيق أجانص) والأخير كانت له معرفة قوية بالفريق بكر صدقي، فوقف الاثنان بإنتظار قدوم الجيش، وطال الانتظار دون جدوى، حتى خيل للمعاون أن الفريق بكر صدقي يخشى من دخول العاصمة لانه يعلم بدهاء ياسين الهاشمي وتخطيطه العسكري، ولكن لما كان كل شيء قد انتهى، وأن الوزارة قد إستقالت، وتنحى ياسين الهاشمي عن السلطة، وردت لخاطر المعاون فكرة تحرير رسالة شخصية الى الفريق بكر صدقي وفعلا كتبها.وكانت قصيرة و جاء فيها :

((مولاي الفريق بكر باشا المحترم..
لا يوجد هنا ما يحول دون دخولكم بغداد، والناس في ارتباك وذهول، عجّلوا بالقدوم والأمر لكم سيدي...
ووضع توقيعه عليها: محيي الدين معاون شرطة السراي)).

بكر صدقي

وتروي مذكرات المعاون محيي الدين أنه قد طلب من المختار (توفيق أجانص) إيصالها إليه، وعاد المختار بعد فترة وأخبره بإيصالها الى الفريق بكر شخصيا، وأن الأخير بعد أن قرأ ما جاء فيها أمره بالعودة الى بغداد كما أخبر المختار المعاون أنه بعد خروجه من مقر الفريق بكر، سمع همساً بين الضباط، مفاده أن الفريق بكر قد أوعز الى بعض الضباط المقربين إليه بقتل الفريق جعفر العسكري الذي كان موجودا في المعسكر للتفاوض، وأن عملية القتل قد نفذت.

وبعد ساعات من ذلك، بدأت طلائع الجيش بدخول العاصمة وإذا بسيارة الفريق بكر صدقي قادمة، فلما وقع نظره على المعاون محيي الدين، أوعز الى سائق السيارة بالوقوف، وأومأ الى المعاون بالتقدم إليه، فلما توجه المعاون طلب منه الفريق بكر صدقي أن يلتحق فورا بمعاونية التحقيقات الجنائية، وانطلق الفريق بسيارته نحو مقر وزارة الدفاع.

بعد ساعات من ذلك، بدأت طلائع الجيش بدخول العاصمة وإذا بسيارة الفريق بكر صدقي قادمة، فلما وقع نظره على المعاون محيي الدين، أوعز الى سائق السيارة بالوقوف، وأومأ الى المعاون بالتقدم إليه، فلما توجه المعاون طلب منه الفريق بكر صدقي أن يلتحق فورا بمعاونية التحقيقات الجنائية، وانطلق الفريق بسيارته نحو مقر وزارة الدفاع.

ثم ساد الهدوء بغداد بعض الساعات، ولما أقبل الليل وتسرب الخبر الى رئيس الوزراء ياسين الهاشمي بنجاح الإنقلاب وحول نية الفريق بكر البطش به كما فعل من قبل مع الفريق جعفر العسكري، هرب الرجل ليلا بإحدى سيارات الأجرة الى سورية.

وفعلا نفذ الأمر، وباشر المعاون محيي الدين وظيفته الجديدة في التحقيقات الجنائية والتي كانت من أقوى دوائر الشرطة آنذاك، وأخذت ترد إليه تقارير سرية عن الأوضاع في العاصمة، ومنها أن فئة من الضباط المقربين الى الفريق بكر صدقي أخذت تصول وتجول في الملاهي وتعبث بحرمات الناس وعلى علم من الفريق وموافقته، كما تأيد له ما أشيع من قبل بأن الملك غازي كان على علم بالانقلاب قبل وقوعه.

وبعد شهر وصل الى معاونية التحقيقات الجنائية تقرير سري خطير ذكر فيه أن هناك عملية تدبر لاغتيال الفريق بكر صدقي لدى سفره لحضور المناورات العسكرية المشتركة في تركيا، فطلب المعاون محيي مواجهة الفريق بكر،ولما قابله أطلعه على التقرير الوارد حول المؤامرة، فشكره، وأخبره بورود تقرير مماثل من الاستخبارات العسكرية بالمحتوى نفسه.

وفي محطة القطار في باب المعظم وأثناء مشاركة المعاون محيي الدين في توديع الفريق، بحضور كبار المسؤولين في الدولة، لمحه الفريق فطلب حضور المعاون إليه، وسأله هل أن الأخبار والتقارير حول خطة اغتياله مازالت على وضعها؟

فأجاب المعاون: نعم.

وهنا أطرق الفريق بكر برأسه وقال: فليكن...إن كانت هذه مشيئة الله!!.

ثم تحرك القطار الى الموصل، وفي اليوم الثاني ورد النبأ بنعي الفريق بكر صدقي من محطة الإذاعة العراقية، حيث قتل في الموصل من قبل أحد ضباط الصف، كما قتل معه في الحادث قائد القوة الجوية محمد علي جواد، وهكذا أسدل الستار على سيرة الفريق بكر صدقي وإنقلابه الذي لم يدم طويلا.

ومازالت تلفه الكثير من نقاط الغموض والريبة واثيرت حوله العديد من الروايات والقصص والتأويلات، لكن حركة الفريق بكر صدقي كانت من أولى الإنقلابات العسكرية التي شهدها العراق، وتدخل العسكر في الشؤون السياسية للبلاد، وكان مقدمة لما حصل بعده من أحداث وتطورات.

هل كان الملك غازي يعلم بالانقلاب قبل وقوعه؟

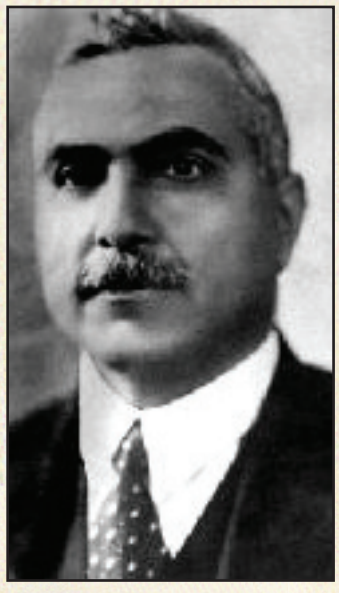
ياسين الهاشمي

جعفر العسكري

الجيش ينزل الى الشوارع بعد الانقلاب في عام ١٩٣٦

سر رسالة معاون شرطة السراي التي حملها مختار محلة البارودية الى الفريق بكر...

من اوراق عبد الحميد الرشودي

مع حسين جميل وكتابه (شهادة سياسية)

عبد الحميد الرشودي

الاستاذ حسين جميل شخصية وطنية مرموقة وعلم من اعلام القانون عرف على مدى اكثر من نصف قرن بمواقفه الوطنية المعتدلة من القضايا العامة وهو اذ يقدم لنا في هذا الكتاب سيرته الذاتية. ويدلي بشهادته على احداث عصره انما يقدم للاجيال خلاصة تجاربه وانطباعاته عن حقبة هي من اشد حقب تاريخنا المعاصر اضطرابا اختلفت فيها الاراء وتباينت الاحكام ومن احق من حسين جميل وهو من العدول ان يدلي بشهادته ويحكم لها او عليها ورائده في احكامه عقل يقظ وضمير حي.

استهل المؤلف كتابه بنبذة عن سيرته الذاتية فحدثنا عن ايام طفولته وصباه وبين المؤثرات السياسية والفكرية التي اثرت فيه وطبعته بطابعها الخاص ثم شرع يحدثنا حديث الخبير العارف عن المواقف الديمقراطية التي وقفها الشعب العراقي في بواكير نهضته ثم قفي على ذلك بالحديث عن الانتداب والمعاهدة العراقية الانكليزية الاولى والظروف التي اكتنفت وضع الدستور العراقي وبعد ذلك عطف الكلام على الحركات الطلابية متمثلة بحادثة كتاب انيس زكريا النصولي "الدولة الأموية في الشام" ومظاهرة الطلاب الاحتجاجية على زيارة الداعية الصهيوني الفريد موند في ٨/ شباط ١٩٢٨ الى بغداد وختم ذلك بالتظاهرة الشعبية في تشييع الشيخ ضاري المحمود الذي توفي في مستشفى السجن في ١/ شباط/ ١٩٢٨ اي بعد يوم واحد من صدور الحكم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة.

ثم يعود المؤلف ثانية الى سيرته الذاتية فيحدثنا عن فصله من كلية الحقوق ببغداد والتحاقه بمعهد الحقوق بدمشق وما عرض له هناك من علاقات ومناسبات ويختتم كتابه بموضوع، معالم في الحكم العراقي من انتحار السعدون الى تشكيل نوري السعيد وزارته الاولى سنة ١٩٣٠.

ولعل في حديث المؤلف عن الاسباب العامة لظاهرة "الازدواجية" في الحكم لدى الملك فيصل الاول وبعض السياسيين ما يقيم الدليل على اعتصام المؤلف بحكمة الشيوخ والافادة من التجارب فقد كان دقيقا في عبارته محترزا من الانسياق وراء العواطف والاحكام الشائعة قال، وهو يحدد منهجه ووجهة نظره: "واستكمالا للصورة، اذكر ما اعتقد انه احد اسباب "الازدواجية" في بعض مواقف وتصرفات واقوال بعض السياسيين، وارجوا ان يلاحظ القارئ كلمة "بعض" التي كتبتها مرتين "بعض مواقف" و"بعض السياسيين" وما اقصد اليه من هذا التنبيه هو ان ما سأذكره قد لايكون قد وقع إلا من عدد قليل جداً من السياسيين كما انه قد لايكون قد وقع إلا في موقف او تصرفات أو أقوال قليلة جدا ايضا. وهذا الذي اريد ان اذكره هو ان بعض الساسة ممن تولى الحكم كانوا يعرفون ان "مركز القوة" في النظام السياسي في عهد الانتداب هو بيد الانكليز فهم اذا ارادوا البقاء في الحكم او العودة اليه وحتى ضمان مقعد لهم في البرلمان – وقد كانت انتخابات مجلس النواب مسيطراً عليها، وعضوية مجلس الاعيان بالتعيين – فان ذلك يتطلب مسايرة السياسة البريطانية – ولو الى حد ما – لذلك فهم يفعلون ذلك في موقف ما او تصرف ما ولكنهم في الوقت نفسه كانوا يريدون ان يحفظوا لانفسهم مكانا ما في اوساط الشعب لذلك اتخذوا موقفا ما او تصرفوا في أمر من الامور على وجه يرضي الحركة الوطنية ومن هنا جاءت "الازدواجية" ومن حسن الحظ ان عدد هؤلاء السياسيين قليل جداً. وحتى بالنسبة الى هذا العدد القليل جداً، ارجو ان اكون مخطئا في نظرتي هذه، لكي لا يكون في العراق من جامل الاجنبي ونظر للامور العامة بعينين مختلفتين" ص١٣٢.

وبعد ان يبين وجهة نظره في المظاهر السلبية للنظام الملكي يرى ان مرد الخلاف بين السلطة والمعارضة يعود الى ان المعارضة قد اخذت "بالمطلق" على حين ان السلطة قد اخذت "بالنسبي" التي كانت تسترشد بسياسة الملك فيصل القائمة على مبدأ "خذ وطالب".

ويتوصل المؤلف الكريم بعد دراسته الرصينة الأمينة الى تقويم الاعمال التي وقعت في العهد الملكي تحت الظروف الموضوعية التي عرضها بشيء من التفصيل في كتابه فيخلص الى ان الخلاف يدور حول الصحة والخطأ ولا يمس وطنية الذين اتبعوا تلك السياسة وقد عزز رأيه هذا بان الدراسات التي تمت والكتب التي الفت وكشفت عن كثير من مقومات ذلك العهد وخاصة بعد ان تم الاطلاع على اوراق العهد ووثائقه، فان كشف الحساب هذا لم يظهر لنا مطعنا في وطنية اولئك الساسة الذين شغلوا الوزارات في العهد الملكي وشغل بعضهم رئاسة الوزارة حتى اولئك الذين نسبوا اليهم اخطاء في مواقف اتخذوها او في سياسة اتبعوها، فان احداً منهم لم يرجع ذلك الى سبب يمس الوطنية، انما هي مواقف اتخذت وسياسة اتبعت باجتهاد انها مواقف وسياسة في صالح العراق وولاؤهم للعراق.

ومما يؤيد صحة ما ذهب اليه المؤلف الفاضل ان المرحوم الشهيد السعيد عبد المحسن السعدون، وقد كان اشد الساسة الذين تعرضوا للاتهام بمصانعة الانكليز وتنفيذ سياستهم ومسايرة خططهم قد اضطر بعد ان استمع الى خطب المعارضة في جلسة مجلس النواب المنعقدة صباح الاثنين ١١/ تشرين الثاني ١٩٢٩ وهم يكيلون له التهم ويسددون اليه قوارص الكلم وسهام النقد وخاصة النائب معروف جياووك الذي حرف كلام السعدون عن مواضعه وزعم انه يدعو الى الثورة على الانكليز (كما جاء في جريدة نداء الشعب العدد ٤٨٨ – ٥٨ الصادر يوم الاربعاء الموافق ١٣/ تشرين الثاني ١٩٢٩) فما كان من هذا الرجل النبيل إلا ان يؤوي الى غرفته مساء هذا اليوم وبفرغ مسدسه في صدره بعد ان كتب وصيته المؤلمة والتي اعتبرت الكتاب الأحمر للقضية العراقية والتي جاء فيها ".. وهم عاجزون عن تقدير نصائح ارباب الناموس من امثالي، يظنون اني خائن للوطن، وعبد للانكليز ما اعظم هذه المصيبة! انا الفدائي الاشد اخلاصاً لوطني قد كابدت انواع الاحتقارات وتحملت المذلات محضا في سبيل هذه البقعة المباركة التي عاش فيها آبائي واجدادي..".

هذا ولنا ملاحظات هامشية عسى ان يتسع لها صدر المؤلف الكريم خاصة وانها لا تتصل بجوهر الموضوع ولا عموده، وانما تحوم حول الشكل والعرض:

١- ذكر المؤلف في ص٨ نهب دار المفتي وحرقها في ايام ولاية علي رضا باشا اللاز (= اللاظ) سنة ١٨٣٢ وكنا نود ان يذكر المؤلف الحريق الثاني الذي اصاب الدار المذكورة وهل كان عملا انتقاميا ام وقع قضاءً وقدراً فقد ذكر عباس العزاوي في كتابه تاريخ العراق بين احتلالين ٨/ ٢٦٠ ما هذه صورته: "في ٣ شوال سنة ١٣٣٢ هـ شب الحريق في دار آل جميل ليلة الثلاثاء، فلم يبق شيء لا من اثاث ولا كتب كما كانت قد احترقت ايام الوالي علي رضا باشا ولم يبق من الكتب (شيء) وكانت نفيسة جدا".

٢- وجاء في ص١٠ وهو يتحدث عن عبد الغني جميل قوله: "حتى قال عنه ابن ابي الثناء في المسك الاذفر".

ومما يلاحظ على ذلك ان كتاب المسك الاذفر هو لمحمود شكري الالوسي حفيد ابي الثناء لا ابنه نعم ان محمود شكري قد نقل من كتاب والده عبد الله بهاء الدين ابن ابي الثناء الموسوم بـ"الروض الخميل في مدائح آل جميل" فقرات هي التي اشار اليها المؤلف.

٣- وفي ص٢٣ ذكر المؤلف وهو يتحدث عن قطعة الكاشي التي كانت تحمل اسم (خليل باشا جاده سي) قوله: "ويقال ان القطعة الخزفية مازالت موجودة مثبتة في جدار احد مباني شارع الرشيد".

والذي نعمله انها قد ازيلت كما ذكر ذلك المحقق الثبت يعقوب سركيس في كتابه مباحث عراقية ١٠٤/٣ قال: "ان اسم الجادة قد نقش باللغة التركية وتاريخ فتح الشارع ١٣٣٢ الرومية في قطعة من الكاشي ثبتت على جدار قاعدة منارة جامع السيد سلطان علي وكانت مطلة على شارع في زاوية الجامع المستقبلة للجنوب والشرق وقد هدمت هذه المنارة لتوسع شارع الرشيد وعوضت بغيرها بنيت بعيدا من مكانها في جهة الجامع الجنوبية المحاذية للشارع النافذ الى دجلة".

وكان يعقوب سركيس يسكن الدار المرقمة ٤٥/٩ في محلة المربعة من جهة النهر فحديثه حديث خبير عارف لأنه كان يمر في غداوته وروحانه من هناك.

٤- ورد في ص٢٤ ذكر حدود الكرخ فقال: "أما رقعتها في جانب الكرخ فكانت من محلة الجعيفر شمالا الى الصالحية عند جسر الاحرار جنوبا ومن نهر دجلة شرقا الى الشيخ عمر غربا".

ولا شك انه يريد الشيخ معروف لا الشيخ عمر الذي مرقده في الرصافة.

٥- وجاء في ص٢٦ وهو يتحدث عن الثورة العراقية بان والده لم يحدثه عنها لأنه. كما قال: "فقد كنت في "الثامنة عشرة من عمري" ولا شك انه اراد ان يقول في الثانية عشرة فاصاب الجملة سبق قلم او خطأ طبع لأن ولادته كما حدثنا كانت سنة ١٩٠٨ والثورة العراقية اندلعت في سنة ١٩٢٠.

٦- وفي ص٥٠ ذكر اسماء الاشخاص الذي دعوا الى اجتماع في جامع الحيدرخانة وقبضت السلطة على ثلاثة من الداعين للاجتماع وهم محمود السنوي ورشيد الشبلاوي ومحمود اليعقوبي.

ولعل من المفيد ان نذكر ان رشيد الشبلاوي هو والد عميد المسرح العراقي المرحوم حقي الشبلي.

حسين جميل

جمعية الانتقام العربية - العثمانية السرية في بغداد

مجيد اللامي

مارستْ بغداد منذ سنة ١٩١٩ دوراً قيادياً في مقاومة السلطات البريطانية واحباط مخططاتها الرامية الى استمرار سيطرتها على العراق.. وتأسست فيها عدة جمعيات سياسية سرية لقيادة الحركة الوطنية بعضها معروف لدى مؤرخي تاريخ العراق الحديث والبعض الاخر لاتزال الايام تكشف لنا عنه ومن هذه الجمعيات جمعية سرية غير معروفة مارست نشاطها في بغداد ابان فترة الاحتلال البريطاني وهي (جمعية الانتقام العثمانية التي عثر على منشورين لها ويفهم من المنشور الاول المؤرخ في ١٨ كانون الثاني سنة ١٩٢١ ان الجمعية ذات اتجاه موال للاتراك اذ اشار اليهم هذا المنشور ووصفهم بانهم (المنقذون الحقيقيون الذين سيعودون الى حكم العراق عما قريب والجدير بالذكر ان تلك الفترة شهدت نشاطا ملحوظا للاتراك في شمال العراق حيث بدؤوا يقومون بدعاية واسعة معادية للانكليز مستغلين حقيقة ان مصير ولاية الموصل لم يتقرر بعد ويذكر هنري أ. فوستر ان المعتمد السامي افاد ان الدعاية التركية كانت مستمرة في العراق وان قوات صغيرة من الجنود النظامية يقودهم بعض المغامرين العسكريين من الاتراك يقومون ببعض التجاوزات على حدود العراق الشرقية ويحرضون العشائر على حمل لواء الثورة وان هناك خوفاً من قيام الكماليين بمحاولة استرجاع المناطق المنسلخة.

وكان قد حدث في النصف الثاني من سنة ١٩١٩ ان قام مصطفى كمال بحركة انقاذ في تركيا رداً على الهزيمة التي حلت بها فانعشت هذه الحركة الآمال لدى الاتراك ولدى العراقيين المحبين لهم وتسلل بعض الدعاة من تركيا الى العراق يبشرون الناس بان تركيا حية لن تموت وانها قادمة الى العراق قريباً لانقاذه من ايدي (الكفار) وقد لقيت هذه الدعاية رواجاً في العراق تحت تأثير التذمر العام الذي انتشر بين العراقيين آنذاك.

والجدير بالذكر ان الدعاية التركية كانت خلال الحرب العالمية الاولى وقبلها تحارب الدعوة القومية وتعتبرها دسيسة من الكفار لهدم الخلافة الاسلامية والتفريق بين المسلمين ولكنها اصبحت فيما بعد تتعاون معها ولهذا رأينا دعاة الاتراك يعملون جنباً الى جنب مع دعاة الاستقلال والعروبة لاعادة مجد الاجداد على أساس انهم جميعا يحاربون في جهة واحدة ضد عدو مشترك.

وقد جاء في تقرير كتبه احد الوجهاء العراقيين من الذين كانوا يتعاونون مع الاستخبارات البريطانية بعد ان قام بزيارة النجف وكربلاء في آذار ١٩٢٠ ان كل العلماء والوجهاء هناك مشغولون في بث الدعاية المؤيدة للاتراك والعروبة معاً وان معظم حديث الذين زارهم في كربلاء كان يدور حول عودة الاتراك القريبة الى العراق ولكن ليس على الطريقة القديمة بل ان يكونوا مستشارين كحلم عربي حقيقي.

وتندد الجمعية في منشورها الاول بالاشخاص الذين قبلوا الاشتراك في الحكومة المؤقتة التي تم تشكيلها في ٢٥ تشرين الاول ١٩٢٠ في الوقت الذي كانت فيه السلطات البريطانية تطارد زعماء الحكومة الوطنية وقد اعتقلت قسماً منهم ونفت وابعدت اخرين.

وكان تشكيل الحكومة المؤقتة التي انتخب اعضاءها المندوب السامي سيربرسي كوكس محاولة لامتصاص غضب الجماهير باقامة حكومة وطنية مزيفة بيد ان هذه الجماهير سرعان ما ادركت فكر الانكليز وتنبأت بسقوط مشروع الحكم الجديد عاجلاً وبعث قسم من قادة ثورة العشرين الذين التجؤوا الى الحجاز خوفاً من بطش السلطات البريطانية بخطاب الى الامير عبد الله بن الحسين جاء فيه (... وقد ابتدأوا بتشكيل حكومة عربية كاذبة من رجال صنائعهم يمقتهم الوطن والاهلون لاحل بايديهم ولاعقد) كما تضمن الخطاب رأيهم في مجمل الاوضاع السياسية في العراق معلنين اختيارهم الامير عبد الله لملوكيته.

وفي المنشور الثاني المؤرخ في ٢ شباط ١٩٢١ الذي تصدره شعار علمين متقاطعين احدهما العلم التركي ذو الهلال والنجمة والاخر العلم العربي ذو الالوان الاربعة الذي اتخذه الثوار شعاراً للعراق المستقل تثير الجمعية همم الشعب العراقي لاخذ الثأر من الانكليز وتخاطب الشعب العربي بضرورة نصرة العراق والقضاء على الوجود الانكليزي.

ويبدو مما عرضناه ان هذه الجمعية من نتاج الدعاة الاتراك الذين ارادوا ان يستثمروا الوطنية العربية التي كانت هي الايديولوجية السائدة في تلك الفترة وذلك ليثيروا الناس على الانكليز ولا حاجة بنا الى القول ان الدعاية التركية ظلت مستمرة في العراق تفور تارة وتخبو تارة اخرى حتى سنة ١٩٢٥ عندما انتهت قضية الموصل وانقطعت بذلك تلك الدعاية..

٧- وجاء في ص٨٦ قوله: "يروي سليمان فيضي في مذكراته التي نشرها سنة ١٩٥٢ بعنوان في غمرة النضال".

لا يخفى ان سليمان فيضي قد توفي يوم الجمعة ١٩/ كانون الثاني ١٩٥١ وان الذي قام بنشر المذكرات هو نجله الدكتور عبد الحميد فيضي (مؤسس مستشفى فيضي) في العلوية وقد تم طبع المذكرات في مطبعة شركة التجارة والطباعة المحدودة – بغداد سنة ١٩٥٢.

٨- بعد ان عرض المؤلف المعاهدة العراقية – الانكليزية لسنة ١٩٢٢ قال في ص١٠٤ "هذه المعاهدة التي قام النظام السياسي في العراق على قواعدها وقيدت الدستور عندما سن باحكامها دعت الشاعر معروف الرصافي لأن يقول:

علم ودستور ومجلس امة
كل عن المعنى الصحيح محرف

قلت ان الرصافي لم ينظم هذه القصيدة في معاهدة ١٩٢٢، قال المرحوم مصطفى علي (الديوان ١٦٧/٣): انها نظمت سنة ١٩٣٠ والعراق في بحران سياسي ورأيه العام في تبلبل واضطراب لأن الحكومة التي الفها نوري سعيد في تلك السنة كانت عازمة على تصديق المعاهدة العراقية – الانكليزية وهي اكثر ما يتطير به العراقيون فكان لهذه القصيدة وقع حسن في الرأي الشعبي العام.

٩- اورد في ص١٢٨ ثلاثة ابيات من قصيدة محمد باقر الشبيبي التي انشدها في الحفلة التي اقامها شباب العرب للمستر كراين في "نزل كارلستون" صباح الأحد ١٩٢٩/١/١٣ جاء اولها بهذه الرواية:

قالوا استقلت في البلاد حكومة
فأجبت إذ قالوا فلم يتأكدوا

والرواية الصحيحة لهذا البيت كما نشرتها جريدة العراق بعددها (٢٦٦١) الصادر يوم الاثنين ١٩٢٩/١/١٤ (اي في اليوم التالي للحفلة) هي:

قالوا استقلت في البلاد حكومة
فضحكت إذ قالوا ولم يتأكدوا

١٠- وفي ص٢٢٢ جاء قوله: "وتقدم طلب اخر من المطرودين واسمه اسماعيل علي الموصلي وانشد هذا البيت:

وان الذي يسعى لتحرير امة
يهون عليه النفي والسجن والطرد

اقول ان هذا البيت للشاعر جميل صدقي الزهاوي وقد اباح الطالب لنفسه ان يحذف منه كلمة ويحل محلها اخرى تناسب المقام وصحيح روايته:

وإن الذي يسعى لتحرير امة
يهون عليه النفي والسجن والشنق

١١- وجاء في ص٢٦٥ قوله: "نشر سليم خياطة في آخر سنة ١٩٣٣ كتابا بعنوان "حميات في العرب وقد اصاب العنوان خطأ مطبعي صوابه "حميات في الغرب".

١٢- وفي ص٢٥٣ اورد برقية عبد المحسن السعدون الى رستم حيدر لعرضها على الملك وقد ورد ضمن اتباع الخالصي اسم "الشيخ سلمان القطيفي" وكان المستحسن ان يشير المؤلف الى ان المقصود بهذا الاسم هو (سلمان الصفواني) صاحب جريدة اليقظة.

١٣- وجاء في ص٢٦٥ قوله: "اصدر سليم خياطة في سنة ١٩٣٤ مجلة الدهور في بيروت"..

اقول: ان مجلة الدهور صدرت اول ما صدرت سنة ١٩٣٠ وكتب على غلافها الخارجي اسم محررها وصاحبها ابراهيم حداد وكتب على الجهة اليسرى من الغلاف "محررها في القطر المصري اسماعيل مظهر نشيء مجلة العصور" وكانت هذه المجلة لسان حال نادي جمعية التضامن الادبي في بيروت وقد اهتمت بنشر قصائد للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي فقد نشرت له مطولته "ثورة في الجحيم" في العدد السادس من المجلد الأول الصادر في آذار سنة ١٩٣١. كما نشرت له قصيدة "افتحوا الطريق" في العدد الأول من المجلد الثاني الصادر في كانون الثاني ١٩٣٢ بعد ان قدمت لها بمقدمة دافعت فيها عن آراء الزهاوي وافكاره الاصلاحية. وقد كان سليم خياطة من كتاب هذه المجلة المكثرين تارة بوقع مقالاته باسمه الصريح "سليم خياطة" واخرى يكتفي بذكر الحرفين الاولين من اسمه "س. خ" وفي اعداد سنة ١٩٣٤ برز اسمه بهذه الصورة "مصدرها ورئيس تحريرها سليم خياطة" والى جانبه "منشؤها المسؤول ابراهيم حداد".

آثاريون في العراق

رولنصون في بغداد

كيف وصل الى اسم بغداد القديم

سالم الالوسي
مؤرخ وآثاري عراقي

من يطالع تاريخ بريطانيا ويبحث عن جذور واسباب شهرتها كدولة عظمى وامتداد رفعة من الرجال العظام الذين نذروا حياتهم بكل تفان واخلاص في خدمة بريطانيا واهدافها السياسية والاقتصادية والعسكرية، كان فيهم الجندي الشجاع والعالم المتبحر في اختصاصه والسياسي المحنك والرحالة المغامر وغيرهم من ذوي القابليات الكبيرة، يجمعهم هدف يقرب من القدسية والفداء هو خدمة التاج البريطاني.

كان واحدا من اولئك الافذاذ هنري كريسويك رولنصون الجندي المتدرب والشاب الطموح والفارس الذي يخوض الحروب والسياسي المفاوض، ليستقر به المقام ببغداد وكيلا سياسياً لشركة الهند الشرقية البريطانية لينتهي به المطاف مستشرقاً بارزاً وعالماً كبيرا من اكبر علماء الآثار والاستشراق فحظي مقابل جهوده العلمية بلقب "ابو علم الآشوريات" وهو جدير بذلك، وفي السطور الآتية نستعرض بايجار سيرة هذا الجندي السياسي الآثاري منذ نشأته الاولى حتى وفاته بمرض الانفلونزا في عام ١٨٩٥، وقد تناولت سيرته عشرات المؤلفات بعدة لغات، وانتج عنه فلم عن بداية حياته واعماله.

كانت الاوساط المتنورة في بريطانيا، بعد رحيل كلوديوس ريج المقيم التجاري ثم الوكيل السياسي في بغداد عن شركة الهند الشرقية البريطانية تفكر في البديل الكفء الذي يحل محله، وقد وجد هذا البديل في الشاب الذكي من مدينة بريستول وهو هنري كريسويك رولنصون الذي كتب له ان يكون من اكابر العلماء والمستشرقين في زمانه.

ولد السر هنري كريسويك رولنصون في اوكسفورد شاير في ١٨١٠/٤/٥ وتوفى ببلدة شاولنغتون من مقاطعة اوكسفورد شاير في ١٨٩٥/٣/٥ وبسبب اصابته بمرض في عينه ذهب الى عمه الطبيب الجراح المشهور في بريستول لمعالجته من المرض، واستقر به المقام بدار عمته وكانت من الاديبات الشهيرات في المجتمع البريستولي الذي كان يحفل بالعديد من الادباء والكتاب والمثقفين امثال حنا مور الذي كان يلتقيه بدار عمته.

بقي رولنصون مقيماً في بريستول حتى عام ١٨٢١ فحصل على ثقافة طيبة اكثر عمقاً واتساعاً من كلوديوس ريج، ولم يلبث ان دخل مدرسة في بلدة سمر سيت، بعدها حصل على منحة دراسية في ايلنك عكف خلالها على دراسة الاداب الكلاسيكية – اي الاغريقية والرومانية – انتهت بقبوله جندياً متدرباً في شركة الهند الشرقية، كان ذلك بوساطة من احد الشيوخ من اقاربه العاملين في الادارة المدينة، وعاد الى لندن وهيأ نفسه للشفر متوجها الى الشرق وعمره (١٧) عاماً.

وعلى خلاف كلوديوس ريج لم يكن رولنصون على اية معرفة او معلومات عن بدان الشرق وتاريخه، فركب احدى السفن امضى اربعة اشهر على ظهرها اقلته الى الهند، ومن الصدف الحسنة وهو على ظهر السفينة ان يلتقي حاكم ولاية بومبي السرجون مالكولم وهو من الشخصيات الفذة التي توصف بالجندي والسياسي وهو من علماء الاستشراق المعروفين.

رولنصون في بغداد:

وتشاء الصدف الحسنة لرولنصون ويبتسم الحظ له، وهي ان الوكيل السياسي البريطاني الذي خلف كلوديوس ريج في بغداد الكولونيل تيلر تقاعد عن العمل في بغداد، وهنا برز اسم هري رولنصون الذي كان يجد في نفسه الثقة لتولي هذا المنصب، وقد تحقق له ذلك بتوجيه اللورد ايلنبورو، فنقلته احدى البواخر البريطانية الى بغداد التي رست مقابل المقيمية البريطانية على ضفة دجلة اليسرى، وعند ما نزل رولنصون من الباخرة استقبل استقبالا كبيرا وبحفاوة بالغة باطلاق (١٣) اطلاقة مدفع، كان ذلك في ١٨٤٣/١٢/٦.

وفي بغداد انصرف برولنصون بكل حماس لدراسة الكتابات المسمارية واصبح قادراً رغم الصعوبات دون ان يتعرض على مخاطر شخصية من انجازه اعمالاً عظيمة في استنساخ الكتابات والنصوص المسمارية من جبل بهستون بصورة كاملة، كما حقق نجاحا كبيراً في الحصول على معلومات قيمة من خلال دراسة نظائر ونماذج مماثلة تقع في نطاق عمله العلمي، كما توفرت لديه معلومات عن جوانب جغرافية من خلال زياراته وتجواله مع الآثاري السر هنري لايارد الى اطلال نينوى ومواقع اخرى، وكان له الفضل في الوصول الى الاسم التاريخي لاطلال برس نمرود المعروفة بالبرس الذي بقي مجهولا مدة قرون من جانب البلدانيين العرب والاجانب، فقد قام في عام ١٨٥٦ بالحفر في اركان الموقع فعثر على اربعة مناشير من كتابات الاساس، وبعد قراءتها عرف اسم الموقع القديم وهو (بورسيبا) وكشف كذلك عن معبد (إى – زيدا) وهو من لآثار الملك نبوخذ نصر الثاني، وكشف كذلك عن الاسم القديم لسنكرة بانها (لارسا) (عن البريد، اسس في التراب ص١٤٨) ومن مآثره انه اول من كشف عن اسم بغداد عند قيامه بفك رموز النصوص المسمارية المنقوشة على ضخرة ميشو (راجع كتاب سالم الالوسي "اسم بغداد عبر العصور التاريخية – بغداد ٢٠١١).

حصل على اجازة قضاها عام ١٨٤٩ في انكلترا للراحة والاستجمام وبقي في لندن سنتين تمكن خلالها من نشر مذكراته واعماله عن "كتابات بهستول" وفي هذه الفترة حصل على ترقية الى منصب Lieutenant Colonel ثم اتصرف الى ترتيب وتصنيف مجموعاته الاثارية من العصور البابلية والصابئية والساسانية وقدمها الى امناء المتحف

البريطاني مقابل مكافأة مالية مجزية مكنته من مواثلة التنقيبات في المواقع الاشورية والبابلية التي كانت برئاسة السر هنري لايارد وادارته.
ولضرورات سياسية اقتضت عودة رولنصون الى بغداد عام ١٨٥١ ليتولى منصبه كوكيل سياسي مرة ثانية، ومما يجدر ذكره هنا ان عمليات التنقيبات في المواقع الاثارية كانت تجري باشرافه وتوجيهاته، وكانت حصيلة ذلك الكشف عن نفائس الاثار من المنحوتات والكتابات كانت له خير معين على متابعة دراساته وانجاز النتائج النهائية في حل رموز الكتابات المسمارية والتوصل الى معرفة الكثير من العلامات المسمارية وتفسيرها، وبخاصة تلك العلامات التي تعددت قراءاتها وتفسيراتها وذلك بالاعتماد على القرائن المتوفرة.
وبالرغم من كثرة واجباته وازدحام اعماله لم يتخل رولنصون عن هواياته في ممارسة الرياضة والفروسية وركوب الخيل، وفي احدى الممارسات تعرض الى حادث رضوض وكدمات اضطرته الى تأجيل العودة الى لندن، فوجد الفرصة مناسبة لتقديم استقالته من وظيفته في شركة الهند الشرقية، وبعد تماثله للشفاء عاد الى وطنه معززاً مكرما بتقليده وسام "قائد فرسان البات K.C.B وهو من الاوسمة الرفيعة.
وتوالت عليه مناسبات التكريم ، فقد تم تعيينه مديراً فخرياً لشركة الهند الشرقية، اما سنوات حياته الاربعين الباقية فقد كانت حافلة بالخدمات الجليلة منها تسنمه عددا من الوظائف والمناصب الرفيعة السياسية والدبلوماسية والعلمية قضى معظمها بلندن، فقد عين عضوا في مجلس الهند الاول عام ١٨٥٨ وبعد عام استقال من المجلس لايفاده الى بلاد فارس مندوباً رفيع الدرجة ووزيراً مفوضا فوق العادة، وبقي في هذا المنصب سنة واحدة، لم يكن مرتاحا خلالها وذلك بسبب الصعوبات التي لاقاها هناك.

رولنصون عضواً في البرلمان البريطاني:

في عام ١٨٥٨ انتخب عضواً عن مقاطعة ريجبت، ثم اعيد انتخابه عن مقاطعة فروم للسنوات ١٨٦٥ – ١٨٦٨، بعدها لم يلبث ان عاد ثانية عضواً في مجلس الهند الاول عام ١٨٦٨ وبقي محتفظاً بعضويته هذه حتى وفاته عام ١٨٩٥.
وانتخب رولنصون عضواً في مجلس امناء المتحف البريطاني من ١٨٧٦ الى ١٨٩٥ وتولى كذلك منصب رئيس الجمعية الجغرافية الملكية ١٨٧٤ – ١٨٧٥.
ورئاسة الجمعية الاسيوية الملكية للسنوات ١٨٧٨ – ١٨٨١.
ولخدماته في اكثر من ميدان وبصورة خاصة انجازاته العلمية والآثارية منح الشهادات الفخرية من جامعات اكسفورد وكمبرج وادنبره كمام نح لقب بارون، وقد استحدث لقب البارونية في بريطانيا عام ١٨٩١ ويمنح لعلماء الاستشراق، ويعد رولنصون اول عالم ومستشرق يمنح هذا اللقب.
وبمناسبة زيارة ناصر الدين شاه بريطانيا بدعوة من الملكة اليزابث رشح لمرافقة الشاه، كما انضم عضواً الى الجانب البريطاني الذي تفاوض مع الوفد المرافق للشاه، وكان يقوم بمهمة الترجمة من الانكليزية الى الفارسية وبالعكس وكان موضع اعجاب الملكة لكفايته والمعيته.

الحالة الاجتماعية:

في ١٨٦٢/٩/٢ اقترن رولنصون بالآنسة لويزا كارولين هاركورت سيمور وانجبا ولدين هنا هنري والفريد وفي ١٨٨٩/١٠/٣١ توفيت زوجته فحزن عليها كثيرا وبعد ست سنوات لحق بها جراء اصابته بالانفلونزا.
كانت الاوساط السياسية البريطانية تنظر الى هنري رولنصون بالاعجاب والتقدير كسياسي داهية بعيد النظر وكثيراً ما كانت توقعاته للعديد من القضايا صائبة، فقد كان على اطلاع بمطامع روسيا القيصرية وتطلعاتها نحو المناطق في جنوب آسيا، مما يستوجب المراقبة والاستعداد للمخاطر المحتملة، وكان توقع ان روسيا ستهاجم بعض المناطق للسيطرة عليها مثل : خوقند وبخارا وخيوا، وهذا ما تحقق فعلا فيما بعد، كما توقع انها ستهاجم بلاد فارس وافغانستان، وهي مناطق احتكاك حساسة مع حدود الهند البريطانية.

رولنصون في ايامه الاخيرة

خلف بن امين والسياسة

الشخصية التي يضرب بافعالها المثل للآن

حسين علي محمد الشرع
صحفي وكاتب عراقي

/ يقولُ المثل الشائع: الامثال تضرب ولا تقاس ولكن بعضها تضرب وتقاس والقسم الاكثر منها حقيقة وفي العهد العثماني والملكي وللآن اخذ المجتمع العراقي يضيف اليها ويتندر بها وخاصة في مجال السياسة وغيرها. عاش خلف بن امين وترعرع في محلة السيف (مديرية التقاعد العامة) الآن وقرب الجسر القديم (جسر الشهداء الآن) وذلك في العهد العثماني وقبل الحكم الملكي بسنوات ويشتهر هذا الرجل بفصل النقد اللاذع وعلى طريقته الخاصة وكل عمل يقوم به يتندر به الناس ويصل الى جميع انحاء العراق حتى وصل امره الى الصدر الاعظم في الاستانه والباب العالي وخاصة الفصلين الذين لهم مساس مباشر بالسلطنة والتي اخذ الناس منها متنفسا لانتقاد السلطة والتذمر منها ومن هذه النكت والافعال:
في احد الايام جاءت (الجندرمة) تبحث عن (المجارية) لتأخذهم مع حميرهم للعمل في اطراف بغداد وركض خلف الى البيت مع الراكضين و(لبد) تحت (التخت) في الغرفة فانتبهت زوجته وقالت له هم (يدورون) يبحثون عن الحمير وما علاقتك فرد عليها (يمعوده) هم ما يفرقون بين البشر والحمير اخذ رجال الوالي السريون يصدرون الاقاويل عنه ووصفوه بالمعتوه والخبل ولكن الناس لم يصدقوهم فزادت نكاته واصبح كل يوم له حكاية مع الوالي واتباعه فحالهم كالجريدة الساخرة من الحكم وعلم ان كل كلمة تصدر من اتباع الوالي هي كذب في كذب وان ابن امين صادق وغير مصاب باي مرض واخذ الناس يردد ما يقوله يوميا وهو جالس في مقهى باب السيف ولم يكتف من النكات اللاذعة حتى جلد من قبل السلطة العثمانية وكانت اخر فعلة قام بها عندما جاء مدير جديد (للجندرمة) من الاستانه متشدد وظالم ففي احد الايام سطا (حرامية) على دار جاره وقبل ان تحضر (الجندرمة) للدار قذف (كيوته) على سطح دار جاره وجلس بالغرفة وهو خائف واذا بزوجته قد دخلت اليه وقالت له خلف (شبيك) فقص عليها القصة ولم يذكر بانه قذف (الكيوه) على الجيران فتعجبت من امره وقالت له وانت (شعليك) واذ بزوجة جاره ومعها (فردة الكيوة) وقالت عيني لكينها (البوكه) وهذي (كيوة) زوجك (جايباتها) البزازين وشاعت هذه الحكاية واخذ الناس ولاآن تضرب به المثل وعند ما يتكلم احدهم مع الاخر يقول له (لا تتخيلف معي)..

كيف اختفى اخر قياصرة روسيا في بغداد؟

ولي عهد قيصر روسيا في أعماق سجون بغداد؟

زين النقشبندي
عضو اتحاد المؤرخين العرب

قد لا يعرف الكثير أي معلومة او لم يسمع او يقرا أي شئ حول قضية الامير الكسي ابن قيصر روسيا الذي عاش في بغداد بعد انهاء الحكم القيصري من قبل البلاشفة في روسيا ، او ربما مازال لحد الآن يعيش بيننا هو او احد ابنائه أو ربما قد ضمت أرض العراق رفات هذا القيصر الشابِ في غفلة من التاريخ ، ورب سائل يقف معلقاً كيف يكون ذلك ؟ وما هو الدليل على صحة ادعائك هذا ؟

و من المعلومات المهمة التي اوردها طبيب العائلة المالكة في العراق ١٩١٨- ١٩٤٦ الدكتور سندرسن باشا في مذكراته المهمة المنشورة حول هذا الموضوع في ص ٩٤-٩٥ (الطبعة الثانية – ترجمة سليم طه التكريتي – بغداد ١٩٨٢) قوله : (من الامراض التي تم تشخيصها في العراق انذاك ، مرض فقر الدم و الانكلستوما ،

غير ان هناك مثالا فريدا على وقوع حادث نزيف دموي حاد اثار الاضطراب في الاوساط الحكومية العراقية ، كان الشخص الذي اصيب به شاب روسي في عنفوان الشباب وصل الى بغداد مع امراة متوسطة العمر كانت مربية له منذ طفولته ، لقد ادعت تلك المراة بان ذلك الشاب هو ولي عهد القيصر الروسي ، وقد هربه المخلصون له الى خارج مدينة (كاتدينبرغ) في روسيا البيضاء قبل اعدام القيصر نقولا الثاني وافراد عائلته واقاربه في شهر تموز (يوليو) سنة ١٩١٨ وبعد ان امضت المراة والشاب هناك اربع سنوات دخلا الى بلاد فارس ثم قطعا رحلة شاقة معظمها سيرا على الاقدام حتى وصلا الى بغداد وذلك املا في الحصول على اعترف رسمي من العراق بولاية العهد لذلك الشاب . لقد ذكر عن هذا الوريث الروسي ، بانه مصاب ورثيا بنزف الدم ، وطلب الي ان اقوم بفحصه ففعلت ذلك ولم اجد ما يثبت الادعاء ، كان في العراق في ذلك الوقت عدد من الروس البيض الذين وجدو ملجا لهم فيه وقد استطاع هولاء بما يحملونه من صور افراد العائلة القيصرية ان يقنعوا بصحة دعوى ذلك الشاب غير ان الحكومة العراقية لم تكن راغبة في اثارة النظام البلشفي الجديد ، ونظرا لعدم الاطلاع على طبيعة ذلك الشاب فقد تم اخراجه هو ومربيته من العراق حيث توجها الى باريس)

وهنا أحب أن أذكر بدور شخصية عراقية لعبت دوراً في الحرب التي انتهت بانتصار البلاشفة على القيصرية وإعدام العائلة القيصرية ، وهذه الشخصية هي الجنرال العراقي الكردي صديق باشا القادري الذي حارب مع الجيوش القيصرية حتى أخر المواقع والحصون في منشوريا .

وقد حمل رسائل ما زالت لحد كتابة هذه السطور في علم الغيب والكتمان إلى قائد الثورة العربية في حينه الشريف حسين بن علي من أخر قياصرة روسيا ، ومما نعرفه عن هذا الموضوع ان الجنرال قد ذكر في مذكراته المطبوعة في بغداد من قبل المكتبة العصرية في العشرينات (١٩٢٤م) ، أنه سوف يأتي على ذكر أحوال العراق السياسية والصفحات الخصوصية والعمومية لأمور كردستانِ في كتابه الثالث الذي ما زال مخطوطاً والمسمى (ما شاهدته في العراق وكردستان والحجاز) .

وقد لعبت هذه الشخصية العراقية دور كبير في الكثير من الصراعات والمناوشات ومنها أنه بعد اصداره كتاب مذكراته في العشرينات ثارت ثائرة الكتاب اليهود في جريدة المصباح والحاصد فهاجموه بشدة ورد عليهم وكانت مناوشات صحفية اشترك فيها اكثر من كاتب عراقي انتهت بتهديد القادري للصحيفة (الكتاب اليهود ذوي الميول الصهيونية) بكشف اسرار عن علاقات بعض اليهود العراقيين مع المنظمات الصهيونية في فلسطين وقد تدخل البعض في هذه الحملة فتوقفت، ولم يكشف القادري عن هذه الاسرار لاحقاً.

في السنوات الاخيرة يكاد يكون الوحيد من الذين نبهوا واشاروا الى الدور والاهمية التي يتمتع بها الجنرال القادري الدكتور خالد الراوي الذي نشر في ثمانينيات القرن الماضي عن قضية مشاركة هذه الشخصية في الحرب بين الجيش القيصري والجيش الاحمر البلشفي بمجلة افاق عربية الاسبوعية التي تصدر ببغداد .

وقد تسلمت هذه الشخصية بعض المناصب الادارية في الدولة العراقية الفتية واول هذه المناصب كان منصب مفتش عام لحكومة كردستان الجنوبية (حكمدارية الشيخ محمود الحفيد) في سنة ١٩٢٢م ثم قائمقام لعدد من النواحي.

وفي الستينات من القرن العشرين طبع كتابه الثاني (الخطر الاحمر) في بغداد، وتوفى في البصرة سنة ١٩٧٠م عن عدد من البنين، ونعود ثانية الى صلب موضوعنا (ولي عهد القيصر). ان الجنرال القادري هذا الذي عاد الى العراق في العشرينات من القرن العشرين كان خير شاهد فقد كانت معرفته قديمة بالاسرة القيصرية ويكاد يكون هذا الموضوع من الامور المسلم بها والمعروفة عنه اذ هو كما ذكرنا انفاً من الناس المعدودين في العالم الذين اتصلوا بحكم موقعهم بالاسرة القيصرية الروسية في اواخر ايامها وعليه فأن رأيه في الشاب الذي وصل العراق والذي اشير اليه في المقال المنوه عنها انفاً وفي الشخص الثاني الذي كان قد وصل العراق في الثلاثينيات من القرن العشرين مع ثلاثة من رافاقه مدعياً هو ايضاً انه ولي عهد روسيا ولم يتم الاشارة الى هذا الشخص المدعي حسب علمنا في أي من المذكرات والمصادر التي كتبت في تاريخ العراق الحديث ما عدا مذكرات طبيب العائلة المالكة سندرسن باشا المشار اليها انفا، وقد نشرت مجلة الدنيا المصورة المصرية تحقيق مصور عن هذا الموضوع بالعدد (٣٦٦) بتاريخ ٢٢/ يناير/١٩٣٠، ومما جاء فيها:

في السطور التالية خبر احد اولئك المدعين انه من آل رومانوف ... ذكر ذلك الشاب انه كان معتقلاً في ذلك المنزل الذي كان البلاشفة قد سجنوا فيه العائلة المالكة (آل رومانوف) في سيبريا وقد بقى معتقلاً مع عائلته في ذلك المنزل وكان الجيش الابيض في تلك الاثناء قد جمع جموعه وزحف على مدينة (ايكترنبرج) في سيبريا لتخليص الاسرة المالكة والتنكيل بجيوش البلاشفة الحمراء وعندما تدفق جحافل الجيوش البيضاء على المدينة التي سادتها الفوضى ودار القتال في شورعها وفي وسط هذه الاضطربات استطاع الامير ان يفر من المدينة بثوب فلاح روسي بصحبة الامير سرجياسبوث واحد الاطباء ثم تعرض الى المرض بعد ذلك و وجد نفسه بمنزل فلاحاً يأويه باحد قرى سيبريا النائية وقد قضى في رعاية هذا الفلاح سنتان وعندما حامت حوله الشبهات وعلم البلاشفة بأمره وانه ابن القيصر السابق قبضوا عليه وقادوه الى اعماق السجون يذيقونه مر العذاب ولما اشتد عليه مرضه نقل الى احدى المستشفيات واقام بها حيناً وهناك تعرف بأبن عسكري سابق يدعى الكسندر موردفنوف وكان ذلك القائد من رجال القيصرية القدماء واتفق الشابان على الفرار سوية ودبرا امرهما على ذلك وافلحا بالتسلل من المستشفى والخروج من المدينة حتى افلاتا من خفر الحدود الروسية وعبرا نهر اراكس الفاصل بين الحدود الروسية وايران وبينما هما في النهر تنبه اليهما حرس الحدود واطلاقوا عليهما وابل من الرصاص فمزق الرصاص جسد صاحبه ونجا الامير بحياته وصعد الى شاطئ النهر مختبئاً يترقب وصول صاحبه ولما طال اختفائه ايقن ان رصاص الحرس قضى عليه فنطلق في طريقه وما

كاد يخطو الى الحدود الفارسية حتى قبض عليه البوليس فخشي ان يعترف بحقيقة امره وانتحل اسم صديقه القتيل واقنع البوليس ان والده يقيم في تبريز ومازال يسعى ويجادل حتى اطلق البوليس سراحه اذ لم يجد في امره ما يدعوا لسجنه واعتقاله وذهب الى تبريز وهو لا يعرف فيها احد وقاس من الالام والجوع والمرض الكثير، حتى ساعده الحظ فعمل عند رجل ارمني خادم وهناك تعرف بأصدقائه الذين قدموا معه الى بغداد وهم الماني ويوناني وارمني فصادق هؤلاء الاربعة كأنما كونوا عصبة أمم وتحالفوا على الود والولاء وكان الامير يزور كاهن ارمني في تبريز ويطلب منه النصح والارشاد ويسمع اقواله وفي ذات يوم ابلغه الكاهن ان البلاشفة علموا بمقره واوفدوا عيونهم تتجسس اخباره وتعمل على اعاده الى روسيا للقضاء عليه فاخبر رفاقه الثلاثة بذلك فأتفق الاربعة على مغادرة ايران الى العراق والفرار منها حتى عبروا الحدود وقبض عليهم البوليس العراقي تلك هي القصة التي رواها هذا الفتى الروسي فأثارت الضجة غير اعتيادية بين الجالية الروسية في بغداد وكان الشاب الروسي جميل الوجه اصلع الجبين ذو شعر ذهبي وعينين زرقاويين ذاهلتين تدلاني على حزن عميق، وما كان البوليس يحقق مع الفتية حتى انبرى هذا الفتى الروسي وافضى اليهم انه ابن القيصر نيقولاي رومانوف وولي عهد القياصرة فقابل البوليس دعواه بالسخرية والنكران وارهقوه بالسؤال والتحقيق ولكن الفتى اصر على قوله وراح يروي قصته في وثوق واطمئنان دون ان يجد البوليس فيها تناقضاً او ضطراباً ورآه الكثيرون من افراد الجالية الروسية وبينهم اشخاص من الحزب القيصري البائد يعيشون في بغداد مازالوا يحملون لقيصرهم المنكوب واسرته ذكريات الولاء فاجمعوا كلهم على انه صورة طبق الاصل من ولي العهد الذي قتله البلاشفة وطبقوا صورة ولي العهد القديم عليه فلم يكن ثمة فروق الا في السن. وبعد ان اطلقت الشرطة سراحه آوى الى منزل شيخ ورسي كريم يسكن في بغداد وقد ايقن هذا الشيخ ان الفتى ابن مليكه السابق فأحسن مثواه واكرم افادته (من هو هذا الشيخ يا ترى؟ مسألة تحتاج إلى بحث وتقصي). وهو يذكر ماضيه وايامه لكن تفوته اشياء جمة ويعجز عن تذكر بعض حوادثه قبل نكسة البلاشفة وتراه يروي اشياء غامضة عن الاسرة المالكة واذا قيل له انك مخطئ في ذكرياتك قال ان النكسات والمصائب التي تولت عليّ انستني الكثير من الذكريات ، ومن دعواه ان الاميرة اولجا ابنة القيصر لم تكن مع الاسرة المالكة عند نقلها الى سيبريا ولا يدري ما حل بها ويذكر ايضا انه اصيب بجروح شديدة اثناء انتقاله مع ابيه القيصر على احدى البواخر في رحلة الى احدى المدن وكان هذا الجرح عميق لا يلتحم تنزف الدماء منه دائما ولا تنقطع ولم يشفى منه الا في الايام التي قضاها معتقلا في المستشفى في سبيريا .

ومع ان الحكومة العراقية حينذاك اطلقت سراحه الا انها قدمته الى المحكمة التي حكمت عليه وعلى رفاقه بالسجن بتهمة دخولهم العراق خلسة دون جواز ولقي القبض عليه ثانية واودع في غياهب السجن وما يزال حتى اليوم مسجونا في بغداد (يعني تاريخ صدور المجلة في ٢٢/ يناير/ ١٩٣٠) بعد ان كان (على ما يزعم) ولي للعهد في بتروغراد ويبقى اللغز بدون حل (مازال لحد الأن مسجون في بغداد) .

ان هذا الشخص الذي أشارت اليه المجلة (الذي الذي آوى اليه بعد ان اطلقت الشرطة سراحه آوى الى منزل شيخ ورسي كريم يسكن في بغداد وقد ايقن هذا الشيخ ان الفتى ابن مليكه السابق فأحسن مثواه واكرم افادته الذي الذي آوى اليه) هو كما نعتقد الجنرال القادري الذي أخبرنا عنه في أحد المرات اثناء دراستنا الثانوية أيام كنا مواظبين على تحضير دروسنا في كازينو شط العرب في شارع الرشيد في نهاية السبعينات ، حيث كانت محط الطلبة في تلك الايام .

فقد أخبرنا أحد المسنين عند حديثنا عن الدنيا وكيف ترفع اناس وتنزل اخرين وأحوال الدنيا ، وأشار الى أنه يعرف عدة أناس لعب القدر والدهر معهم لعبته وأدار لهم ظهره ، منهم رجل كان أبوه قيصر لدولة كبيرة وأصبح فيما بعد رجل عادي يعيش بعيد عن أهله وينتسب إلى عائلة غير عائلته وأب غير أبيه وأسم غير أسمه الذي عرف به في طفولته وصغره ، وفي حينها لم أهتم ويهتم غيري بهذا الحديث لكنه بقي بالذاكرة ، وقد أثارني الفلم الذي تكرر عرضه في محطة تلفزيون الجزيرة الوثائقية والعربية وبعض المحطات العراقية خاصة بعد سقوط الاتحاد السوفيتي والعثور على الهياكل البشرية لافراد العائلة القيصرية وكذلك ما حملته لنا الأخبار عند عزم السلطات الروسية على اجراء مراسيم دفن العائلة القيصرية وتسليط الاضواء واعادة فتح ملف هذه القضية في حينها عن مصير هذه العائلة ، وانه لم يتم العثور لحد الأن على ما يدل أو يؤكد مقتل الأمير الكسي ولي عهد روسيا القيصرية ، في حين تم العثورعلى بقية رفات أفراد العائلة كلها(ما عدا ولي العهد وأصغر بناته(انستاسيا) .

وبعد ما تقدم أعادة لي الذاكرة حديث هذا الشخص المسن في السبعينيات القرن الماضي وعليه فموضوع ابن قيصر روسيا موضوع جد حساس وخطير ، في رأينا يحتاج الى بحث وتحقيق للوصول للحقيقة . ونحن من خلال ما ذكرنا ندعوا ورثة الجنرال صديق القادري وأقاربه وكل من يعرفه إلى مساعدتنا في حل هذا اللغز وفي نفس الوقت ندعو اساتذة التاريخ والمعنيين بشوؤنه في بلادنا لتسليط الضوء على شخصية الجنرال صديق القادري هذه الشخصية العراقية المهمة الذي لعبت دور جد وخطير وشاركت في الكثير من الاحداث المهمة بل انها شاركت في اهم حادث حدث في القرن الماضي (الثورة البلشفية قيام الاتحاد السوفيتي) اضافة الى مشاركته و دوره المهم في العديد من الاحداث العراقية والعربية في بداية هذا القرن وخاصة مايتعلق بمراسلات قيصر الى شريف مكة التي لم يتم اماطت اللثام عنها .

والاهم من كل ذلك هو مشاركته في تاسيس اول حكومة كردية (حكمدارية الشيخ محمود الحفيد) التي تأسست في كردستان الجنوبية عام ١٩١٨ قبل ان يتم قيام وتأسيس أول حكومة عراقية تضم الولايات (بغداد والبصرة والموصل) عام ١٩٢٢.

بعد ان اطلقت الشرطة سراحه آوى الى منزل شيخ ورسي كريم يسكن في بغداد وقد ايقن هذا الشيخ ان الفتى ابن مليكه السابق فأحسن مثواه واكرم افادته (من هو هذا الشيخ يا ترى؟ مسألة تحتاج إلى بحث وتقصي). وهو يذكر ماضيه وايامه لكن تفوته اشياء جمة ويعجز عن تذكر بعض حوادثه قبل نكسة البلاشفة وتراه يروي اشياء غامضة عن الاسرة المالكة واذا قيل له انك مخطئ في ذكرياتك قال ان النكسات والمصائب التي تولت عليّ انستني الكثير من الذكريات

ولي عهد روسيا القيصرية هل مازال حياً وما هي علاقة الجنرال العراقي الكردي صديق باشا القادري بذلك ؟

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير: عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي . رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل

طبعت بمطابع مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون